أوصاف النبي ﷺ

ترتيب وتعليق

مصطفى رضا الأزهري

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، الذي اختار سيدنا محمد ﷺ من الخلق أجمعين، وأرسله رحمة للعالمين وجعل من جملة أمته الأنبياء والمرسلين، إذ أخذ عليهم الميثاق بالإيمان به و بنصرته وقال اشهدوا وأنا معكم من الشاهدين ﷺ وعليهم وعلى آلهم و صحبهم أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد :

فهذه رسالة بديعة في فضائل النبي الشفيع، وعلو قدره الرفيع ﷺ اختصرتُها من موسوعة الإمام النبهاني الذي سماها : «**جواهر البحار في فضائل النبي المختار**»، فقد جمع الإمام النبهاني فيها كثيرًا مما ورد في الكتاب والسنة، وكلام أئمة الأمة، من أهل الشريعة والحقيقة في أوصاف سيد الخليقة ﷺ ، فنقل الفرائد المهمة، والفوائد الجمة عن أكابر العارفين، وأئمة الدين.

فكانت هذه الموسوعة التي حوت دررًا من فضائله ﷺ لم يجمعها من قبلها ديوان، فهي بحق أعظم هدية في هذا الزمان لأهل الإيمان؛ حيث جمعت جواهره الحسان، من بحار العلم والعرفان، مما أخذه العلماء من الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، والمشاهدات العرفانية فكل ما قالوه في ذلك هو حق صحيح؛ لاستنادهم فيه إلى القرآن أو الحديث؛ ولذلك كانوا بعد النبيين والمرسلين والملائكة المقربين أعرف خلق الله بعلو قدر رسول الله، فهنيئًا لكم يا أهل الإيمان، بأبدع مجموع في هذا الشَّان، قد اشتمل على كل الحسن وجميع الإحسان؛ وهم مع كل ما أتوا به من المعقول والمنقول، والأوصاف التي تبهر العقول، إنما وصفوه ﷺ بحسب ما وصلت إليه علومهم، وإلا فحقيقة فضله ﷺ لا يدركها إنسان، وحسبك أنه ﷺ حبيب الرحمن، ونتيجة جميع الأكوان(١)، فقل في حقه هو عبد الله ورسوله، ثم لا حرج عليك مهما بالغت، فلن تبلغ ما يجب له ﷺ من الأوصاف الحسان، و يرحم الله الإمام البوصيري؛ حيث قال:

---

(١)

وانْسُبْ إلى ذاتِهِ ما شِئْتَ مِنْ شَرَفٍ وانْسُبْ إلى قَدْرِهِ ما شِئْتَ مِنْ عِظَمِ

فإنَّ فضلَ رسولِ اللهِ ليس لهُ حَدٌّ فَيُعربَ عنهُ ناطِقٌ بِفَمِ

وقد وصف الإمام النبهاني «موسوعته» بأنها في حكم مجموع رسائل جمع فيه ما قاله كل إمام من أوصاف كاللؤلؤ والمرجان ، من الجواهر الحسان المستخرجة من أعظم بحور العرفان، وقد صدَّر هذه « الموسوعة » بكلام الإمام المحدِّث القاضي أبي الفضل عياض؛ لأنه وحيد هذا الفن، وكتابه «الشفا» نسيجًا وحده، وله به الفضل على كل من جاء بعده؛ لذلك قمنا بتلخيص ما كتبه في«شفائه» الذي شفى الله به القلوب من الأمراض الرادية، وشنَّفَ به أسماع المؤمنين بجواهر الأوصاف النبوية ، وطَبَّبَ أرواح المحبين بذكر سيد المرسلين بنشر فضائله المحمدية، عليه أفضل صلاة وأكمل تحية، وسمينا هذا التلخيص بـ «**أوصاف الرسول** »، وقد اشتمل تلخيصنا هذا على النقاط التالية :

- تعظيم الله لقدر سيدنا رسول ﷺ قولًا وفعلًا.
- صفات الحبيب ﷺ في التوراة .
- خصائص الحبيب ﷺ .
- تكميل الله له المحاسن خَلقا وخُلقًا ﷺ .
- وصف عقله ﷺ .
- وصف حلمه واحتماله وعفوه وصبره ﷺ .
- وصف جوده ﷺ .
- وصف شجاعته ﷺ .
- وصف حيائه ﷺ .
- وصف حسن عشرته وأدبه وخلقه ﷺ .
- وصف شفقته ورحمته بكل الخلق ﷺ .
- وصف ﷺ خلقه في الوفاء، وحسن العهد، وصلة الرحم .

- وصف تواضعه ﷺ .
- وصف عدله وأمأنته وعفته وصدق لهجته ﷺ .
- وصف وقاره ومروأته وحسن هديه ﷺ .
- وصف زهده ﷺ .
- ذكر حديث الحسن في حلية النبي وشمائله وأوصافه الشريفة ﷺ .
- فِي تَفْسِيرُ معاني حديث ابن أبي هالة في وصف النبي ﷺ .
- عظيم قدره ﷺ عند ربه .
- ذكر تفضيله بالمحبة والخلة ﷺ .
- ذكر تفضيله ﷺ بالشفاعة والمقام المحمود .
- فائدة في الفرق بين صفات الخالق والمخلوق .
- وصف معجزاته بالإجمال ﷺ وأعظمها القرآن .
- ذكر ماظهر عند ولادته ﷺ من الآيات وخوارق العادات .
- ذكر ترجيح معجزاته ﷺ على الرسل بكثرتها وعظمتها .

فأسأل الله – عز وجل – التوفيق والقبول، إنه على ذلك قدير وبالإجابة جدير، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

كتبه

راجي عفو ربه الغني

مصطفى رضا الأزهري

تعظيم الله لقدر سيدنا رسول ﷺ قولًا وفعلًا

إنّ تعظيم العلي الأعلى لقدر نبيه المصطفى ﷺ قولًا وفعلًا، لا يخفى على من مارس شيئًا من العلم، أوخُصَّ بأدنى لمحة من الفهم.

فإنَّ تعظيم الله تعالى قدر نبينا ﷺ وتخصيصه إياه بفضائل ومحاسن ومناقب، لا تنضبط بزمام، وتنويهه من عظيم قدره ﷺ بما تكل عنه الألسنة والأفهام، فمنها ما صرَّح به تعالى في كتابه، ونبَّه به على جليل نصابه، وأثنى به عليه من أخلاقه وآدابه، وحض العباد على التزامه وتقلد إيجابه، فكان جلَّ جلاله هو الذي تفضل وأَوْلَى، ثم طهَّر وزَكَّى، ثم مدح بذلك وأثنى، ثم أثاب عليه الجزاء الأوفى، فله الفضل بدءًا وعودا، والحمد أولى وأخرى، ومنها ما أبرزه للعيان من خلقه على أتم وجوه الكمال والجلال، وتخصيصه بالمحاسن الجميلة والأخلاق الحميدة، والمذاهب الكريمة، والفضائل العديدة، وتأييده بالمعجزات الباهرة، والبراهين الواضحة، والكرامات البينة التي شاهدها من عاصرها، ورآها من أدركها، وعلمها علم يقين من جاء بعده ﷺ حتى انتهى علم حقيقة ذلك البناء، وفاضت أنواره علينا.

رَوَى التِّرْمِذِيُّ عَنْ أَنَسٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - : «**أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أُتِيَ بِالْبُرَاقِ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِهِ مُلَجَّمًا مُسْرَجًا فَاسْتَصْعَبَ عَلَيْهِ فَقَالَ لَهُ جِبْرِيلُ أَبِمُحمدٍ تَفْعَلُ هَذَا فَمَا رَكِبَك أَحَدٌ أَكْرَمُ عَلَى اللهِ مِنْهُ قَالَ فَارْفَضَّ عَرَقًا**»(٢).

(٢) أخرجه الترمذي في «سننه» : (٣١٣١) .

ثم اعلم أنَّ في كتاب الله – عز وجل- آيات كثيرة مفصحة بجميل ذكر المصطفى ﷺ وعدِّ محاسنه، وتعظيم أمره، وتنويه قدره، ذكر منها القاضي عياض ما ظهر معناه، وبان فحواه، وها نحن نقتصر هنا على أكثر هذه الجواهر فائدة، وأولاها بالذكر، فإن الحديث عن فضائل الحبيب ﷺ لا يسعها كتاب، ولا يفصح عن حقائقها لسان، ولله در البوصيري، حينما قال :

فإنَّ فضلَ رسولِ اللهِ ليس لهُ حَدٌ فَيُعربَ عنهُ ناطِقٌ بِفَمِ

فمن هذه الجواهر، قوله تعالى ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾[التوبة:١٢٨]، وقرأ بعضهم من ﴿أَنْفَسِكُمْ﴾بفتح الفاء، وقراءة الجمهور بالضم.

أعلم الله المؤمنين بهذه الآية أنَّه بعث فيهم رسولًا من أنفسهم يعرفونه ويتحققون مكانته، و يعلمون صدقه وأمانته فلا يتهمونه بالكذب، وأنه لم تكن في العرب قبيلة إلا ولها على رسول الله ﷺ ولادة أو قرابة.

والمعنى على قراءة ﴿أَنْفَسِكُمْ﴾ بفتح الفاء كونه ﷺ من أشرفهم، وأرفعهم وأفضلهم، وهذا نهاية المدح.

ثم وصف الله رسوله ﷺ في هذه الآية بأوصاف حميدة، وأثنى عليه بمحامد كثيرة، كحرصه ﷺ على هدايتهم، ورشدهم، و إسلامهم، وشدة ما يعنتهم و يضر بهم في دنياهم وأخراهم، وعزته عليه ورأفته، ورحمته بمؤمنيهم.

قال ابن عباس : أعطى الله – تعالى – رسوله ﷺ اسمين من أسمائه، هما : «**رؤوف، رحيم**»(٢)، وهذا منتهى التشريف والتعظيم .

---

(٢) أي : شديد الرفة والرحمة بكم – أيها المؤمنون- والرأفة عبارة عن السعي في إزالة الضرر، والرحمة عبارة عن السعي في إيصال النفع، فهو ﷺ يسعى بشدة في إيصال الخير والنفع للمؤمنين، وفي إزالة كل مكروه عنهم .
وقيل : «رؤوف، رحيم» أي : بما يأمرهم به ﷺ من الهداية ويؤثره لهم من الصلاح.

رُوي عن علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – عن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿ مِنْ أَنفُسِكُمْ﴾، قال «**نَسَبًا وَصِهْرًا وَحَسَبًا لَيْسَ فِي آبَائِي مِنْ لَدُنْ آدَمَ سِفَاحٌ، كُلُّهَا نِكَاحٌ**»(٤).

وعن ابن عباس – رضى الله عنهما – في قوله تعالى : ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾[الشعراء: ٢١٩]، قال : « **أَرَادَ تَقَلُّبَكَ فِي أَصْلَابِ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ نَبِيٍّ إِلَى نَبِيٍّ حَتَّى أَخْرَجَكَ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ** »(٥).

وقال جعفر بن محمد : علم الله عجز خلقه عن طاعته فعرفهم ذلك(٦)؛ لكي يعلموا أنهم لا ينالون الصفو من خدمته(٧) فأقام بينهم وبينه مخلوقًا من جنسهم في الصورة ألبسه من نعته الرأفة والرحمة وأخرجه إلى الخلق سفيرًا صادقًا وجعل طاعته طاعته وموافقته موافقته فقال تعالى :﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾[النساء:٨٠]، وقال الله تعالى : ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾[الأنبياء:١٠٧].

وقيل: بما يضعه ﷺ عنهم من المشاق ويعفو عنهم من الهفوات.

وقيل : رؤوف بالمطيعين، رحيم بالمذنبين .

(٤) انظر: «تفسير السلمي» : (١/ ٢٩٣).

(٥) انظر: «تفسير البغوي» : (٣/ ٤٨٤).

(٦) المراد من ذلك أنّ الله – عز وجل– لا يمكن أن يُطاع من خلقه كمال الطاعة، وأن يوفوه حقه منها؛ لأنَّ مقدار عظمة الله ليس لها حد، ولذلك جعل الله للعباد سبيلًا ليطيعوه كما ينبغي، وذلك من خلال طاعة نبيه ومصطفاه ﷺ الذي أرسله الله بشيرًا ونذيرًا ورحمة للعالمين.

(٧) المراد من ذلك أنّ الله – عز وجل– لا يمكن أن يُطاع من خلقه كمال الطاعة، وأن يوفوه حقه منها؛ لأنَّ مقدار عظمة الله ليس له حد، ولذلك جعل الله للعباد سبيلًا ليطيعوه كما ينبغي، وذلك من خلال طاعة نبيه ومصطفاه ﷺ الذي أرسله الله بشيرًا ونذيرًا ورحمة للعالمين.

قال أبو بكر بن طاهر: « زَيَّنَ اللهُ تَعَالَى مُحَمَّدًا ﷺ بِزِينَةِ الرَّحْمَةِ، فَكَانَ كَوْنُهُ رَحْمَةً، وَجَمِيعُ شَمَائِلِهِ وَصِفَاتِهِ رَحْمَةً عَلَى الْخَلْقِ، فَمَنْ أَصَابَهُ شَيْءٌ مِنْ رَحْمَتِهِ فَهُوَ النَّاجِي فِي الدَّارَيْنِ مِنْ كُلِّ مَكْرُوهٍ، وَالْوَاصِلُ فِيهِمَا إِلَى كُلِّ مَحْبُوبٍ ».

ألا ترى أن الله تعالى يقول : ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾، فكانت حياته رحمة ومماته رحمة، كَمَا قال ﷺ: «**حَيَاتِي خَيْرٌ لَكُمْ وَ مَمَاتِي خَيْرٌ لَكُمْ**»(٨).

وكما قال ﷺ :« **إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ إِذَا أَرَادَ رَحْمَةَ أُمَّةٍ مِنْ عِبَادِهِ، قَبَضَ نَبِيَّهَا قَبْلَهَا، فَجَعَلَهُ لَهَا فَرَطًا وَسَلَفًا بَيْنَ يَدَيْهَا** »(٩).

وقال السمرقندي : «**رحمة للعالمين، يعني : الجن والأنس**».

وقيل: «لجميع الخلق للمؤمنين رحمة بالهداية، ورحمة للمنافق بالأمان من القتل، ورحمة للكافر بتأخير العذاب» .

وقال ابن عباس – رضي الله عنهما- : «**هو** ﷺ **رحمة للمؤمنين، والكافرين إذ عوفوا مما أصاب غيرهم من الأمم المكذبة**».

وحُكي أنَّ النبي ﷺ قَالَ لِجِبْرِيلَ – عَلَيْهِ السَّلَامُ- : **هَلْ أَصَابَكَ مِنْ هَذِهِ الرَّحْمَةِ شَيْءٌ قَالَ**: «**نَعَمْ، كُنْتُ أَخْشَى الْعَاقِبَةَ فَأَمِنْتُ لِثَنَاءِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيَّ بِقَوْلِهِ**: ﴿ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ ٢٠ مُّطَاعٖ ثَمَّ أَمِينٖ﴾ [التكوير: ٢٠]، وقال الله تبارك وتعالى : ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ﴾ [النور:٣٥].

قال كعب، وابن جبير: «**المراد بالنور الثاني ههنا محمد** ﷺ، **فقوله**: ﴿**مَثَلُ نُورِهِ**﴾، **أي: نور محمد** ﷺ، **وقد سماه الله تعالى في القرآن في غير هذا الموضع نورًا وسراجًا منيرًا، فقال** : ﴿قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ١٥﴾ [المائدة:١٥]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ

---

(٨) **أخرجه البزار في «مسنده»: (١٩٢٥).**

(٩) أخرجه مسلم في «صحيحه»: (٢٢٨٨) .

﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا﴾ [الأحزاب:٤٥]، ومن هذا قوله تعالى: ﴿أَلَمۡ نَشۡرَحۡ لَكَ صَدۡرَكَ ۝١﴾ [الشرح:١]، إلى آخر السورة، والمراد بالصدر: القلب».

قال ابن عباس : شرحه بالإسلام.

وقال سهل: بنور الرسالة.

وقال الحسن : ملأه حكمًا وعلمًا .

قال القاضي عياض - رحمه الله – بعد ذكره لما سبق : «**هَذَا تَقْرِيرٌ مِنَ اللهِ جَلَّ اسْمُهُ لِنَبِيِّهِ ﷺ عَلَى عَظِيمِ نِعَمِهِ لَدَيْهِ، وَشَرِيفِ مَنْزِلَتِهِ عِنْدَهُ، وَكَرَامَتِهِ عَلَيْهِ، بِأَنْ شَرَحَ قَلْبَهُ لِلْإِيمَانِ وَالْهِدَايَةِ، وَوَسَّعَهُ لِوَعْيِ الْعِلْمِ وَحَمْلِ الْحِكْمَةِ، وَرَفَعَ عَنْهُ ثِقَلَ أُمُورِ الْجَاهِلِيَّةِ عَلَيْهِ، وَبَغَّضَهُ لِسِيَرِهَا وَمَا كَانَتْ عَلَيْهِ بِظُهُورِ دِينِهِ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ، وَحَطَّ عَنْهُ عُهْدَةَ أَعْبَاءِ الرِّسَالَةِ وَالنُّبُوَّةِ لِتَبْلِيغِهِ لِلنَّاسِ مَا نَزَلَ إِلَيْهِمْ، وَتَنْوِيهِهِ بِعَظِيمِ مَكَانِهِ، وَجَلِيلِ رُتْبَتِهِ، وَرِفْعَةِ ذِكْرِهِ وَقِرَانِهِ مَعَ اسْمِهِ اسْمَهُ**»(١٠).

قال قتادة: «**رفع اللهُ تعالى ذِكْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَلَيْسَ خَطِيبٌ وَلَا مُتَشَهِّدٌ وَلَا صَاحِبُ صَلَاةٍ إِلَّا يَقُولُ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله**»(١١).

وروى أبو سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ، عَنْ رَسُولِ الله ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**أَتَانِي جِبْرِيلُ فَقَالَ: إِنَّ رَبِّي وَرَبَّكَ يَقُولُ: كَيْفَ رَفَعْتُ ذِكْرَكَ؟ قُلتُ: اللهُ أَعْلَمُ، قَالَ: إِذَا ذُكِرْتُ ذُكِرْتَ مَعِي**»(١٢).

قَالَ جَعْفَرُ بنُ مُحَمَّدٍ الصَّادِقُ: «**لَا يَذْكُرُكَ أَحَدٌ بِالرِّسَالَةِ إِلا ذَكَرَنِي بِالرُّبُوبِيَّةِ**».

وَأَشَارَ بَعْضُهُمْ فِي ذَلِكَ إِلَى مَقَامِ الشَّفَاعَةِ.

وَمِنْ ذِكْرِهِ مَعَهُ – تَعَالَى- أَنْ قَرَنَ طَاعَتَهُ بِطَاعَتِهِ -ﷺ- وَاسْمَهُ بِاسْمِهِ ﷺ، فقال تعالى: ﴿قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران:٣٢]، وقال : ﴿يَٰٓأَيُّهَا

---

(١٠) انظر: «الشفا»، للقاضي عياض : (١/ ٦٣) .

(١١) انظر: «دلائل النبوة»، للبيهقي : (٧/ ٦٣) .

(١٢) أخرجه أبو يعلى في «مسنده»: (١٣٨٠)، وابن حبان في «صحيحه»: (٣٣٨٢) .

ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [النساء:١٣٦]، فجمع بينهما بواو العطف المشتركة ولا يجوز جمع هذا الكلام في حق غيره ﷺ.

صفات الحبيب ﷺ في التوراة

قال –تعالى–: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا﴾ [الأحزاب: ٤٥]، جمع الله له ﷺ فِي هَذِهِ الْآيَةِ ضُرُوبًا مِنْ رُتَبِ الأُثْرَةِ(١٣)، وَجُمْلَةَ أَوْصَافٍ مِنَ الْمِدْحَةِ، فَجَعَلَهُ شَاهِدًا عَلَى أُمَّتِهِ لِنَفْسِهِ بِإِبْلاغِهِمُ الرِّسَالَةَ، وَهِيَ مِنْ خَصَائِصِهِ ﷺ، وَمُبَشِّرًا لِأَهْلِ طَاعَتِهِ، وَنَذِيرًا لِأَهْلِ مَعْصِيَتِهِ، وَدَاعِيًا إِلَى تَوْحِيدِهِ وَعِبَادَتِهِ، وَسِرَاجًا مُنِيرًا يُهْتَدَى بِهِ لِلْحَقِّ .

رُوي عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، أنه قَالَ: لَقِيتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ العَاصِ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا–، فقُلْتُ: أَخْبِرْنِي عَنْ صِفَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي التَّوْرَاةِ؟ قَالَ: « أَجَلْ، وَاللهِ إِنَّهُ لَمَوْصُوفٌ فِي التَّوْرَاةِ بِبَعْضِ صِفَتِهِ فِي القُرْآنِ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا﴾، وَحِرْزًا لِلْأُمِّيِّينَ، أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي، سَمَّيْتُكَ المتَوَكِّلَ لَيْسَ بِفَظٍّ وَلاَ غَلِيظٍ، وَلاَ سَخَّابٍ فِي الأَسْوَاقِ، وَلاَ يَدْفَعُ بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَغْفِرُ، وَلَنْ يَقْبِضَهُ اللهُ حَتَّى يُقِيمَ بِهِ المِلَّةَ العَوْجَاءَ، بِأَنْ يَقُولُوا: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَيَفْتَحُ بِهَا أَعْيُنًا عُمْيًا، وَآذَانًا صُمًّا، وَقُلُوبًا غُلْفًا»(١٤).

وَذُكِرَ مِثْلُهُ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ سَلَامٍ وَكَعْبِ الْأَحْبَارِ، وزاد ابْنُ إِسْحَاقَ فيهِ: و«**لَا صَخِبٍ فِي الْأَسْوَاقِ وَلَا مُتَزَيِّنٍ بِالْفُحْشِ: وَلَا قَوَّالٍ لِلْخَنَا، أُسَدِّدُهُ لِكُلِّ جَمِيلٍ، وَأَهَبُ لَهُ كُلَّ خُلُقٍ كَرِيمٍ، وَأَجْعَلُ السَّكِينَةَ لِبَاسَهُ، وَالبِرَّ شِعَارَهُ، وَالتَّقْوَى ضَمِيرَهُ، وَالْحِكْمَةَ مَعْقُولَهُ، وَالصِّدْقَ وَالْوَفَاءَ طَبِيعَتَهُ، وَالْعَفْوَ وَالْمَعْرُوفَ خُلُقَهُ، وَالْعَدْلَ سِيرَتَهُ، وَالْحَقَّ شَرِيعَتَهُ، والْهُدَى إِمَامَهُ، وَالْإِسْلَامَ مِلَّتَهُ، وَأَحْمَدَ اسْمَهُ، أَهْدِي بِهِ بَعْدَ الضَّلالَةِ، وَأُعْلِمَ به بعد الجهالة، وأرفع بِهِ بَعْدَ الْخُمَالَةِ، وَأُسْمِيَ بِهِ بَعْدَ النُّكْرَةِ، وَأُكْثِرَ بِهِ بَعْدَ الْقِلَّةِ، وأُغْنِيَ بِهِ بَعْدَ الْعَيْلَةِ، وَأَجْمَعُ بِهِ بَعْدَ الْفُرْقَةِ، وَأُؤَلِّفُ بِهِ بَيْنَ قُلُوبٍ مُخْتَلِفَةٍ وَأَهْوَاءٍ مُتَشَتِّتَةٍ وأُمَمٍ مُتَفَرِّقَةٍ، وَأَجْعلُ أُمَّتَهُ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ**» .

---

(١٣) الأثرة، بالضم الكرامة وبالكسر ما يستأثر به على غيره والأول هو المراد : هنا.

(١٤) أخرجه البخارب في «صحيحه» : (٢١٢٥)، وأحمد في «مسنده» : (٦٦٢٢).

وفي حديث آخر أخبرنا رسول الله ﷺ عن صفته في التوراة وهي : «**عَبْدِي أَحْمَدُ الْمُخْتَارُ، مَوْلِدُهُ بِمَكَّةَ، وَمُهَاجَرُهُ بِالْمَدِينَةِ، أَوْ قَالَ: طَيِّبَةٌ، أُمَّتُهُ الْحَمَّادُونَ للهِ**»(١٥).

وقال الله تعالى :﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ﴾ [الأعراف:١٥٧]، وقد قال الله تعالى:﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران:١٥٩] .

قال السمرْقندي: «**ذَكَّرَهُم اللهُ تَعَالَى مِنَّتَهُ أَنَّهُ جعل رَسُولَهُ ﷺ رَحِيمًا بالمؤمنين، رؤفًا، لَيِّنَ الْجَانِبِ ، وَلَوْ كَانَ فَظًّا خَشِنًا فِي الْقَوْلِ: لَتفَرَّقُوا مِنْ حَوْلِهِ، وَلَكِنْ جَعَلَهُ اللهُ تَعَالَى: سَمْحًا، سَهْلًا، طَلْقًا، بَرًّا، لَطِيفًا**».

ومن الآيات التي وردت في خطابه تعالى إياه ﷺ مورد الملاطفة والمبرة، قوله تعالى: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾[التوبة:٤٣].

---

(١٥) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير»: (١٠٠٤٦) ، والديلمي في «مسنده» (٣٧٧٩) .

خصائص الحبيب ﷺ

ومما ذُكر من خصائصه ﷺ و بر الله تعالى به أنَّ الله تعالى خاطب جميع الأنبياء، فقال : يا آدم، يا نوح، يا إبراهيم، يا داود، يا زكريا، يا يحيى، يا عيسى، ولم يخاطبه ﷺ إلا بقوله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ﴾ [المائدة:٦٧]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ﴾ [الأحزاب:٤٥]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ﴾ [المزمل:١]،﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾ [المدثر:١] .

وقد أَقْسَمَ الله – تعالى- بعظيم قدره ﷺ فقال : ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الحجر:٧٢]، اتفق أهل التفسير في هذا أنه قَسَمٌ من الله -جل جلاله- بمدة حياة سيدنا محمد ﷺ ، معناه: وحياتك يا محمد، وهذه نهاية التعظيم وغاية البر والتشريف .

قال ابن عباس – رضي الله عنهما- : « **مَا خَلَقَ اللهُ تَعَالَى وَمَا ذَرَأَ وَمَا بَرَأَ نَفْسًا أَكْرَمَ عَلَيْهِ مِنْ مُحَمَّدٍ ﷺ**»(١٦).

وقال أبو الجوزاء : « **مَا أَقْسَمَ اللهُ تَعَالَى بِحَيَاةِ أَحَدٍ غَيْرِ مُحَمَّدٍ** – ﷺ- **لِأَنَّهُ أَكْرَمُ الْبَرِيَّةِ عِنْدَهُ**».

وقال – سبحانه وتعالى- : ﴿يسٓ ۝١ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [يس:١-٢]، **قال النقاش** : «لم يُقسم الله تعالى لأحد من أنبيائه بالرسالة في كتابه إلا له ﷺ».

وقال-تعالى-: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ﴾ [الضحى:١-٢]، تضمنت هذه السورة من كرامة الله تعالى له – ﷺ- وتنويهه به وتعظيمه إياه ستة وجوه:

الأول : القسم عما أخبره به من حاله – ﷺ- بقوله تعالى : ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ﴾[الضحى:١-٢]، أي: ورب الضحى وهذا من أعظم درجات المبرة .

الثاني: بيان مكانته ﷺ عنده – تعالى-، وحظوته لديه، بقوله : ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ [الضحى:٣]،أي: ماتركك وما أبغضك، وقيل : ما أهملك بعد أن اصطفاك .

---

(١٦) أخرجه ابن أبي أسامة في «مسنده» : (٩٣٤)، وأبو نعيم في «دلائل النبوة»: (٢١).

الثالث: قوله تعالى: ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ﴿٤﴾﴾ [الضحى:٤]،قال ابن إسحاق، أَيْ: مَالَكَ فِي مَرْجِعِكَ عِنْدَ اللهِ أَعْظَمُ مِمَّا أَعْطَاكَ مِنْ كَرَامَةِ الدُّنْيَا.

وقال سهل: «**أَيْ مَا ادَّخَرْتُ لَكَ مِنَ الشَّفَاعَةِ وَالْمَقَامِ الْمَحْمُودِ خَيْرٌ لَكَ مِمَّا أَعْطَيْتُكَ فِي الدُّنْيَا**».

الرابع : قوله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾ [الضحى:٥]، وهذه آية جامعة لوجوه الكرامة، وأنواع السعادة، وشتات الأنعام في الدارين والزيادة .

قال ابن إسحاق : يرضيه ﷺالله تعالى بِالْفَلَجِ (١٧)، أي : الفوز في الدنيا، والثواب في الآخرة.

وقيل: يعطيه ﷺ الحوض والشفاعة.

ورُوِي عن بعض آل النبي(١٨) ﷺ أنه قال : «**ليس فِي الْقُرْآنِ أَرْجَى مِنْهَا، وَلَا يَرْضَى منها ولا يرضى رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ يَدْخُلَ أحدٌ مِنْ أمتهِ النَّار**»(١٩).

الخامس : مَا عَدَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ ﷺ مِنْ نِعَمِهِ ، وَقَرَّرَهُ مِنْ آلَائِهِ، قَبْلَهُ فِي بَقِيَّةِ السُّورَةِ مِنْ هِدَايَتِهِ إِلَى مَا هَدَاهُ لَهُ، أَوْ هِدَايَةِ النَّاسِ بِهِ عَلَى اخْتِلَافِ التَّفَاسِيرِ، وَلَا مَالَ لَهُ، فَأَغْنَاهُ بِمَا آتَاهُ، أَوْ بِمَا جَعَلَهُ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْقَنَاعَةِ وَالْغِنَى، وَيَتِيمًا فَحَدَبَ عَلَيْهِ عَمُّهُ وَآوَاهُ إِلَيْهِ .

وإذا لَمْ يُهْمِلْهُ فِي حَالِ صِغَرِهِ، وَعَيْلَتِهِ، وَيُتْمِهِ، وَقَبْلَ مَعْرِفَتِهِ بِهِ، وَلَا وَدَّعَهُ وَلَا قَلَاهُ، فَكَيْفَ بَعْدَ اخْتِصَاصِهِ وَاصْطِفَائِهِ ﷺ ؟!.

السادس : أَمَرَهُ اللهُ تعالى بِإِظْهَارِ نِعْمَتِهِ عَلَيْهِ وَشُكْرِ مَا شَرَّفَهُ بِهِ بِنَشْرِهِ وَإِشَادَةِ ذِكْرِهِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى :﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى:١١]، فَإِنَّ مِنْ شُكْرِ النِّعْمَةِ التَّحَدُّثَ بِهَا وَهَذَا خَاصٌّ لَهُ عَامٌّ لِأُمَّتِهِ ﷺ .

---

(١٧) الفلج: بفتح الفاء وتسكين اللام، أي: الظفر والفوز.

(١٨) وهو: الإمام علي بن أبي طالب – رضي الله عنه- .

(١٩) أخرجه الديلمي في «مسنده» : (٦١٩٥)، وأبو نعيم في «الحلية» : (٣/ ١٧٩) .

وقال تعالى : ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ [النجم:١]، إلى قوله: ﴿لَقَدۡ رَأَىٰ مِنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ﴾ [النجم:١٨]، تَضَمَّنَتْ هَذِهِ الْآيَاتُ مِنْ فَضْلِهِ، وَشَرَفِهِ، الْعِدِّ مَا يَقِفُ دُونَهُ الْعَدُّ، وَأَقْسَمَ جَلَّ اسْمُهُ عَلَى هِدَايَةِ الْمُصْطَفَى، وَتَنْزِيهِهِ عَنِ الْهَوَى، وَصِدْقِهِ فِيمَا تَلَا، وَأَنَّهُ وحيٌ يُوحى، أوصله إِلَيْهِ عَنِ اللهَّ جِبْرِيلُ، وَهُوَ الشَّدِيدُ الْقُوَى، ثُمَّ أَخْبَرَ تَعَالَى عَنْ فَضِيلَتِهِ بِقِصَّةِ الْإِسْرَاءِ، وَانْتِهَائِهِ إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى، وَتَصْدِيقِ بَصَرِهِ فِيمَا رَأَى، وَأَنَّهُ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى.

وَقَدْ نَبَّهَ عَلَى مِثْلِ هَذَا فِي أَوَّلِ سورة الإسراء، ولما كان ما كاشفه(٢٠) ﷺ مِنْ ذَلِكَ الْجَبَرُوتِ(٢١)،وشاهد مِنْ عَجَائِبِ الْمَلَكُوتِ(٢٢)، لَا تُحِيطُ بِهِ الْعِبَارَاتُ، وَلَا تَسْتَقِلُّ بِحَمْلِ سَمَاعِ أَدْنَاهُ الْعُقُولُ، رَمَزَ عَنْهُ تَعَالَى بِالْإِيمَاءِ، وَالْكِنَايَةِ الدَّالَّةِ عَلَى التَّعْظِيمِ.

فقال تعالى : ﴿فَأَوۡحَىٰٓ إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ مَآ أَوۡحَىٰ﴾ [النجم:١٠]، وَهَذَا النَّوْعُ مِنَ الْكَلَامِ يُسَمِّيهِ أَهْلُ النَّقْدِ وَالْبَلَاغَةِ بِالْوَحْيِ وَالإِشَارَةِ وَهُوَ عِنْدَهُمْ أَبْلَغُ أَبْوَابِ الْإِيجَازِ : ﴿لَقَدۡ رَأَىٰ مِنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ ١٨﴾ [النجم:١٨]، انْحَسَرَتِ الأَفْهَامُ عَنْ تَفْصِيلِ مَا أَوْحَى وَتَاهَتِ الْأَحلَامُ فِي تَعْيِينِ تِلْكَ الآيَاتِ الْكُبْرَى.

واشتملت هذه الآيات على إعلام الله تعالى بتزكية جملته ﷺ وعصمتها عن الآفات في هذا المسرى، فزكى فؤاده، ولسانه، وجوارحه.

زكَّى قلبه، بقوله تعالى : ﴿مَا كَذَبَ ٱلۡفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾[النجم:١١] .

وزكَّى لسانه، بقوله : ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ﴾ [النجم:٣].

وزكَّى بصره، بقوله : ﴿مَا زَاغَ ٱلۡبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾ [النجم:١٧]، وقال تعالى: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ﴾ [التكوير:١٥]، إلى قوله : ﴿وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَيۡطَٰنٖ رَّجِيمٖ﴾[التكوير:٢٥].

---

(٢٠) أي: الذي راه ﷺ، أي: برؤيته .

(٢١) الجبروت صيغة مبالغة من الجبر بمعنى : القوة، كالعظموت من العظمة، والمراد : أنه رأى ما يدل عليه، إذ هو معنى، والمعنى لايُشاهد بالبصر، إلا أن تُحمل الرؤية على رؤية البصيرة، فالمراد بها : العلم والمعرفة .

(٢٢) الملكوت: فعلوت من الملك، مبالغة، والملك ظاهر السلطنة، والملكوت باطنها.

لا أقسم أي: أقسم أنه لقول رسول كريم، أي : كريم عند رسله، ذي قوة على تبليغ ما حمله من الوحي، مكين أي: متمكن المنزلة من ربه، رفيع المحل عنده، مطاع أي: في السماء، أمين الوحي .

قال علي بن عيسى، وغيره : «**الرسولُ الكريمُ هنا محمدٌ ﷺ فجميع الأوصافِ تعدُّ على هذا له**».

وقال غيره : هو جبريل، فترجع الأوصاف إليه : ولقد رآه يعني محمدًا ﷺ.

قيل: رأى ربه، وقيل : رأى جبريل في صورته ﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾ [التكوير:٢٤]، أي: بمتهم، ومن قرأه بالضاد، فمعناه : ما هو ببخيل بالدعاية، والتذكير بحكمه، و بعلمه، وهذه لمحمد ﷺ بالاتفاق .

وقال تعالى : ﴿نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ [القلم:١]، الآيات، أقسم الله تعالى بما أَقْسَمَ به من عظيم قسمه على تنزيه المصطفى ﷺ بما غمصته الكفرة به، وتكذيبهم له، وأُنسِهِ و بسط أمله بقوله محسناً خطا به : ﴿مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾ [القلم:٢].

وهذه نهاية المبرة في المخاطبة وأعلى درجات الآداب في المحاورة، ثم أعلمه تعالى بما له ﷺ عنده من نعيم دائم وثواب غير منقطع لا يأخذه عد ولا يمتن به عليه، فقال تعالى : ﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾ [القلم:٣].

ثم أثنى عليه ﷺ بما منحه من هباته وهداه إليه، وأكد ذلك تتميمًا للتمجيد بحرفي التأكيد، فقال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم:٤]، قيل : القرآن، وقيل : الإسلام، وقيل : الطبع الكريم، وقيل : ليس لك همة إلا الله تعالى.

قَالَ الْوَاسِطِيُّ : « **أَثْنَى عَلَيْهِ بِحُسْنِ قَبُولِهِ ﷺ، لِمَا أَسْدَاهُ إِلَيْهِ مِنْ نِعَمِهِ وَفَضَّلَهُ بِذَلِكَ عَلَى غَيْرِهِ، لِأَنَّهُ جَبَلَهُ عَلَى ذَلِكَ الْخُلُقِ**».

فَسُبْحَانَ اللَّطِيفِ الْمُحْسِنِ، الْجَوَادِ الْحَمِيدِ، الَّذِي يَسَّرَ لِلْخَيْرِ وَهَدَى إِلَيْهِ، ثُمَّ أَثْنَى عَلَى فَاعِلِهِ، وَجَازَاهُ عَلَيْهِ، سُبْحَانَهُ مَا أَغْمَرَ نَوَالَهُ، وَأَوْسَعَ إِفْضَالَهُ.

ثم سلّاه تعالى عن قولهم بعد هذا بما وعده به من عقباه، وتوعدهم بقوله تعالى : ﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ﴾[القلم:٥] الثلاث آيات.

ثم عطف بعد مدحه ﷺ على ذم عدوه، وذكر سوء خلقه، وعدَّ معايبه متوليًا ذلك بفضله، ومنتصرًا لنبيه فذكر بضع عشرة خصلة من خصال الذم فيه، بقوله تعالى : ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾[القلم:٨]، إلى قوله : ﴿أَسَطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾[القلم:١٥]،ثم ختم ذلك بالوعيد الصادق بتمام شقائه وخاتمة بواره، بقوله تعالى: ﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ﴾ [القلم:١٦]، فكانت نصرة الله تعالى له ﷺ أتم من نصرته لنفسه ورده تعالى على عدوه ﷺ أبلغ من رده، وأثبت في ديوان مجده ﷺ.

ومن الآيات ما ورد مورد الشفقة والإكرام له ﷺ قال الله تعالى ﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ﴾ [طه:١-٢]، نزلت الآية، فيما كان النبي ﷺ يتكلفه من السهر والتعب وقيام الليل.

رُوِيَ عَنِ الرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ أَنَّهُ قَالَ : «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا صَلَّى قَامَ عَلَى رِجْلٍ وَرَفَعَ الْأُخْرَى فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى:﴿طه﴾، يَعْنِي طَإِ الْأَرْضَ يَا مُحَمَّدُ ﴿مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ﴾، وَلَا خَفَاءَ بِمَا فِي هَذَا كُلِّهِ مِنَ الْإِكْرَامِ وَحُسْنِ الْمُعَامَلَةِ.

وَإِنْ جَعَلْنَا طه مِنْ أَسْمَائِهِ ﷺ كَمَا قِيلَ أَوْ جُعِلَتْ قَسَمًا لحق الفصل بِمَا قَبْلَهُ، وَمِثْلُ هَذَا مِنْ نَمَطِ الشَّفَقَةِ وَالْمَبَرَّةِ، قوله تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا﴾[الكهف:٦]، الباخع: القائل.

ومن هذا الباب قوله تعالى: ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [الحجر:٩٤]، إلى قوله : ﴿وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدۡرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾ [الحجر:٩٧]، إلى آخر السورة وقوله: ﴿وَلَقَدِ ٱسۡتُهۡزِئَ بِرُسُلٖ مِّن قَبۡلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنۡهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾ [الأنبياء:٤١].

قال مكي: «**سَلَّاهُ تَعَالَى بِمَا ذَكَرَ وَهَوَّنَ عَلَيْهِ مَا يَلْقَاهُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَأَعْلَمَهُ أَنَّ مَنْ تَمَادَى عَلَى ذَلِكَ يَحُلُّ بِهِ مَا حَلَّ بِمَنْ قَبْلَهُ**».

ومثل هذه التسلية، قوله تعالى: ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدۡ كُذِّبَتۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِكَۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ﴾ [فاطر:٤] ، من هذا قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٌ﴾ [**الذاريات:٥٢**]، عزاه الله تعالى بما أخبره به عن الأمم السالفة ومقالها لأنبيائهم قبله ومحنتهم بهم، وسلاه تعالى بذلك عن محنته ﷺ بمثلهم من كفار مكة، وأنه ليس أول من لقي ذلك ثم طيب نفسه وأبان عذره ﷺ، بقوله تعالى : ﴿فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡ﴾ أي: أعرض عنهم ﴿فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٖ﴾ [الذاريات:٥٤]، أي : في أداء ما بُلِّغتَ وإبلاغ ما حُمِّلتَ .

ومثله قوله تعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَاۖ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ٤٨﴾ [الطور:٤٨] أي اصبر على أذاهم فإنك بحيث نراك ونحفظك سلاه الله تعالى بهذا في آيٍ كثيرة من هذا المعنى، ومما أخبر الله تعالى به في كتابه العزيز من عظم قدره وشريف منزلته على الأنبياء وحظوة رتبته ﷺ قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيۡتُكُم مِّن كِتَٰبٖ وَحِكۡمَةٖ﴾ [آل عمران:٨١].

قال أبو الحسن القابسي : «**اختصَّ اللهُ تَعَالَى مُحَمَّدًا ﷺ بِفَضْلٍ لَمْ يُؤْتِهِ غَيْرَهُ ، وَهُوَ مَا ذَكَرَهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ**».

قَالَ الْمُفَسِّرُونَ: « **أَخَذَ اللهُ الْمِيثَاقَ بِالْوَحْيِ فَلَمْ يَبْعَثْ نَبِيًّا إِلا ذَكَرَ لَهُ مُحَمَّدًا وَنَعَتَهُ وَأَخَذَ عَلَيْهِ مِيثَاقَهُ إِنْ أدركه ليؤمنن بِهِ**».

وقيل : أن يبينه لقومه، ويأخذ ميثاقهم أن يبينوه لمن بعدهم، وقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ﴾[آل عمران: ٨١]، الخطاب لأهل الكتاب المعاصرين لسيدنا محمد ﷺ .

قال علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- : «**لَمْ يَبْعَثِ اللهُ نَبِيًّا مِنْ آدَمَ فَمَنْ بَعْدَهُ، إِلَّا أَخَذَ عَلَيْهِ الْعَهْدَ فِي مُحَمَّدٍ ﷺ، لَئِنْ بُعِثَ وَهُوَ حَيٌّ لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ، وَلِيَنْصُرَنَّهُ، وَيَأْخُذَ الْعَهْدَ بِذَلِكَ عَلَى قومه**»(٢٣).

وقال الله تعالى : ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ ﴾[الأحزاب:٧]، وقال﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ ﴾[النساء:١٦٣].

رُوِي عَنْ عمرَ بنِ الخطاب أَنَّهُ قَالَ فِي كَلامٍ بَكَى بِهِ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ:« **بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللهِ لَقَدْ بَلَغَ مِنْ فَضِيلَتِكَ عِنْدَ اللهِ أَنْ بَعَثَكَ آخِرَ الْأَنْبِيَاءِ وَذَكَرَكَ فِي أَوَّلِهِمْ فَقَالَ: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ ﴾**[الأحزاب:٧] ، **بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللهِ لَقَدْ بَلَغَ مِنْ فَضِيلَتِكَ عِنْدَهُ أَنَّ أَهْلَ النَّارِ يَوَدُّونَ أَنْ يَكُونُوا أَطَاعُوكَ وَهُمْ بَيْنَ أَطْبَاقِهَا يُعَذَّبُونَ : ﴿ يَقُولُونَ يَـٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴾**[الأحزاب:٦٦].

قال قتادةُ :« **إِنَّ النَّبِيَّ ﷺقَالَ كُنْتُ أَوَّلَ الْأَنْبِيَاءِ فِي الْخَلْقِ وآخِرَهُمْ فِي الْبَعْثِ فَلِذَلِكَ وَقَعَ ذِكْرُهُ مُقَدَّمًا هُنَا قَبْلَ نُوحٍ وَغَيْرِهِ**»(٢٤).

قال السمرقندي : «**في هذا تفضيل نبينا ﷺ لِتَخْصِيصِهِ بِالذِّكْرِ قَبْلَهُمْ وَهُوَ آخِرُهُمْ بَعْثًا** ».

والمعنى : أخذ الله عليهم الميثاق إذ أخرجهم من ظهر آدم كَالذَّرِّ ، وقال تعالى : ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَـٰتٍ ﴾ [البقرة:٢٥٣].

---

(٢٣) أخرجه السيوطي في «الجامع»: (٣٤٦١٠)، والمتقي في «الكنز» : (٤٢٩٦) .

(٢٤) رواه ابن سعد في «طبقاته» : (١/ ١٤٩) .

قال أهل التفسير: «**أراد الله تعالى بقوله : ﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ﴾ محمدًا ﷺ؛ لأنه بُعِثَ للأحمر والأسود، وأُحِلَّت له الغنائم، وظهرت على يديه المعجزات، وليس أحد من الأنبياء أُعطِيَ فضيلة أو كرامة إلا وقد أُعطِيَ محمد ﷺ مثلها**».

قال بعضهم : ومن فضله ﷺ أنَّ الله تعالى خاطب الأنبياء بأسمائهم، وخاطبه بالنبوة والرسالة في كتابه فقال تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ﴾، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ﴾، وقال الله تعالى : ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾ [الأنفال:٣٣]، أي : ما كنت بمكة أي مدة وجوده ﷺ فيها قبل الهجرة فلما خرج عليه الصلاة والسلام منها و بقي فيها من بقي من المؤمنين نزل قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال:٣٣]، وهذا من أبين ما يُظهِرُ مكانته -عليه الصلاة والسلام-، ونحوٌ منه قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء:١٠٧].

قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : «**أَنَا أَمَانٌ لِأَصْحَابِي**»(٢٥)، قيل: **أمانٌ لهم من البدع، وقيل: من الاختلاف والفتن** .

وقال بعضهم : «**الرسُولُ ﷺ هُوَ الْأَمَانُ الْأَعْظَمُ مَا عَاشَ. وَمَا دَامَتْ سُنَّتُهُ بَاقِيَةً فَهُوَ بَاقٍ، فَإِذَا أُمِيتَتْ سُنَّتُهُ فانتظروا الْبَلَاءَ وَالْفِتَنَ**» .

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ٥٦﴾ **[الأحزاب:٥٦]**، أبان الله تعالى فضل نبيه ﷺ بصلاته عليه، ثم بصلاة ملائكته عليه، وأمر عباده بالصلاة والتسليم عليه ﷺ .

وقد حكى أبو بكر بن فورك : **أن بعض العلماء تأول قوله ﷺ : « وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ»(٢٦) على هذا، أي: في صلاة الله عليَّ وملائكته، وأمره الأمة بذلك إلى يوم القيامة، والصلاة من الملائكة ومثاله دعاء، ومن الله تعالى رحمة.**

---

(٢٥) أخرجه الحاكم في «مستدركه» : (٣٦٧٦)، والطبراني في «المعجم الأوسط » : (٦٦٨٧) .

(٢٦) أخرجه الحاكم في «مستدركه» : (٢٦٧٦)، وأحمد في «مسنده » : (١٤٠٣٧) .

وقال تعالى: ﴿وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيۡهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوۡلَىٰهُ﴾[التحريم:٤]، مولاه أي وليه، وجبريل، وصالح المؤمنين، وقيل :الأنبياء، وقيل:الملائكة، وقيل : أبو بكر وعمر وعلي - رضي الله عنهم-، وقيل : المؤمنون على ظاهره .

وقال الله تعالى ﴿إِنَّا فَتَحۡنَا لَكَ فَتۡحٗا مُّبِينٗا ۝١﴾ **[الفتح:١]** إلى قوله: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ ۝١٠﴾ **[الفتح:١٠]** تضَمَّنَتْ هَذِهِ الْآيَاتُ مِنْ فَضْلِهِ ﷺ ، وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ، وَكَرِيمِ مَنْزِلَتِهِ عِنْدَ اللهِ تَعَالَى، وَنِعْمَتِهِ لَدَيْهِ، ما يقصد الْوَصْفُ عَنْ الِانْتِهَاءِ إِلَيْهِ، فَابْتَدَأَ جَلَّ جَلَالُهُ بِإِعْلَامِهِ بِمَا قَضَاهُ لَهُ مِنَ الْقَضَاءِ الْبَيِّنِ، بِظُهُورِهِ وَغَلَبَتِهِ عَلَى عَدُوِّهِ، وَعُلُوِّ كَلِمَتِهِ وَشَرِيعَتِهِ، وَأَنَّهُ مَغْفُورٌ لَهُ، غَيْرُ مُؤَاخَذٍ بِمَا كَانَ، وَمَا يَكُونُ (٢٧).

قَالَ بَعْضُهُمْ: «**أَرَادَ غُفْرَانَ مَا وَقَعَ، وَمَا لَمْ يَقَعْ.. أَيْ أَنَّكَ مَغْفُورٌ لك**».

وقال مكي : جَعَلَ اللهُ الْمِنَّةَ سَبَبًا لِلْمَغْفِرَةِ، وَكُلٌّ مِنْ عِنْدِهِ لَا إِلَهَ غَيْرُهُ، مِنَّةً بَعْدَ مِنَّةٍ، وَفَضْلًا بَعْدَ فَضْلٍ. ، ثم قال تعالى : ﴿وَيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَيَهۡدِيَكَ ۝٢﴾ **[الفتح:٢]**.

قيل : بخضوع من تكبر لك وقيل بفتح مكة والطائف وقيل برفع ذكرك في الدنيا ونصرك والمغفرة لك ثم قال : ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ۝٨﴾ **[الفتح:٨]** الآية فعدد الله تعالى محاسنه ﷺ وخصائصه ﴿وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ ۝٩﴾ **[الفتح:٩]** أي تجلونه وتعظمونه.

وقرأه بعضهم «ويعززوه» بزائين مِنَ الْعِزِّ، وَالْأَكْثَرُ وَالْأَظْهَرُ أَنَّ هَذَا فِي حَقِّهِ ﷺ، ثُمَّ قال «وتسبّحوه» فَهَذَا رَاجِعٌ إِلَى اللهِ تَعَالَى.

قَالَ ابْنُ عَطَاءٍ : جُمِعَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فِي هَذِهِ السُّورَةِ نِعَمٌ مُخْتَلِفَةٌ:

---

(٢٧) لا يُفهم من ذلك أنّ رسول الله ﷺ له ذنوب أخبره الله أنه يغفرها له فهو ﷺ نبي، وأنبياء الله تحفهم العصمة فلا يقعون في الصغائر ولا الكبائر من الذنوب، ولكن المراد أنه لو كان له ﷺ أو سيكون ذنب فهو مغفور له ﷺ.

وقال أحد العارفين : إنَّ نسبة الذنب لرسول الله ﷺ ليست معناها أنه يقوم به، ولكن معناها : أنه يقوم به غيره في حقه، كأن يسبه أحد، أو يكذبه، فمن كمال نعمة الله على الخلق أنه ﷺ يغفر للمسيء إليه إذا استغفر له؛ لأنه رحمة الله للعالمين.

- مِنَ الْفَتْحِ الْمُبِينِ: وَهُوَ مِنْ أَعْلَامِ الْإِجَابَةِ، وَالْمَغْفِرَةِ: وَهِيَ مِنْ أَعْلَامِ الْمَحَبَّةِ، وَتَمَامِ النِّعْمَةِ: وَهِيَ مِنْ أَعْلَامِ الِاخْتِصَاصِ، وَالْهِدَايَةِ: وَهِيَ مِنْ أَعْلَامِ الْوِلَايَةِ.

فَالْمَغْفِرَةُ تَبْرِئَةٌ مِنَ الْعُيُوبِ، وَتَمَامُ النِّعْمَةِ إِبْلَاغُ الدَّرَجَةِ الْكَامِلَةِ، وَالْهِدَايَةُ وَهِيَ الدَّعْوَةُ إِلَى الْمُشَاهَدَةِ.

وقال جعفر بن محمد : **مِنْ تَمَامِ نِعْمَتِهِ عليه أن جعله حبيبه، وَأَقْسَمَ بِحَيَاتِهِ، وَنَسَخَ بِهِ شَرَائِعَ غَيْرِهِ، وَعَرَّجَ بِهِ إِلَى الْمَحَلِّ الْأَعْلَى، وَحَفِظَهُ فِي الْمِعْرَاجِ حَتَّى مَا زَاغَ الْبَصَرُ- وَمَا طَغَى، وَبَعَثَهُ إِلَى الْأَحْمَرِ وَالْأَسْوَدِ، وَأَحَلَّ لَهُ وَلِأُمَّتِهِ الْغَنَائِمَ، وَجَعَلَهُ شَفِيعًا مُشَفَّعًا وَسَيِّدَ وَلَدِ آدَمَ، وَقَرَنَ ذِكْرَهُ بِذِكْرِهِ وَرِضَاهُ بِرِضَاهُ، وَجَعَلَهُ أَحَدَ رُكْنَيِ التوحيد ، ثم قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ ﴿١٠﴾﴾ [الفتح: ١٠] بيعتهم إياك ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ ﴿١٠﴾﴾ [الفتح: ١٠] يريد عند البيعة، قيل قوة الله، وقيل ثوابه وقيل منته، وقيل عقده، وهذه استعارة وتجنيس في الكلام وتأكيد لعقد بيعتهم إياه وعظيم شأن المبايع** ﷺ.

وقد يكون من هذا قوله تعالى :﴿فَلَمۡ تَقۡتُلُوهُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمۡۚ وَمَا رَمَيۡتَ إِذۡ رَمَيۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰۚ ﴿١٧﴾﴾ **[الأنفال:١٧]**، وإن كان الأول في باب المجاز، وهذا في باب الحقيقة لأن القاتل والرامي في الحقيقة هو الله تعالى وهو خالق فعله ورميه وقدرته عليه ومشيئته ولأنه ليس في قدرة البشر توصيل تلك الرمية حيث وصلت حتى لم يبق منهم من لم تملأ عينيه، ومما أظهره الله تعالى في كتابه العزيز من كرامته ﷺ عليه ومكانته عنده تعالى وما خصه به من ذلك ما نصه الله تعالى في قصة الإسراء﴿سبحان﴾ وفي سورة النجم وما انطوت عليه القصة من عظيم منزلته وقربه ومشاهدته ﷺ ما شاهد من العجائب ، ومن ذلك عصمته

من الناس بقوله تعالى : ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ ﴿٦٧﴾﴾ **[المائدة:٦٧]** وقوله تعالى : ﴿وَإِذۡ يَمۡكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ **[الأنفال:٣٠]**.

وقوله: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدۡ نَصَرَهُ ٱللَّهُ﴾ **[التوبة:٤٠]** وما دفع اللهُ بِهِ عَنْهُ فِي هَذِهِ الْقِصَّةِ، مِنْ أَذَاهُمْ بَعْدَ تَحَرِّيهِمْ لِهَلْكِهِ، وَخُلُوصِهِمْ نَجِيًّا فِي أَمْرِهِ، وَالْأَخْذِ عَلَى أَبْصَارِهِمْ عِنْدَ خُرُوجِهِ عَلَيْهِمْ، وذهو لهم عَنْ طَلَبِهِﷺ فِي الْغَارِ، وَمَا ظَهَرَ فِي ذلك من الآيات، وَنُزُولِ السَّكِينَةِ عَلَيْهِ، وَقِصَّةِ «سُرَاقَةَ بْنِ مَالِكٍ» ، حسبما ذَكَرَهُ أَهْلُ الْحَدِيثِ وَالسِّيَرِ في قصة الغار وحديث الهجرة .

ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ﴿٢﴾ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ ﴿٣﴾﴾ [الكوثر:١-٢-٣] أعلمه الله تعالى بما أعطاه، والكوثر نهر في الجنة، وفيه أقوال أخرى ثم أجاب عنه عدوه ورد عليه قوله، فقال تعالى : ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ ﴿٣﴾﴾ **[الكوثر:٣]** أي عدوك ومبغضك، والأبتر الحقير الذليل والمنفرد الوحيد أو الذي لا خير فيه، وقال تعالى :﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ سَبۡعٗا مِّنَ ٱلۡمَثَانِي وَٱلۡقُرۡءَانَ ٱلۡعَظِيمَ ﴿٨٧﴾﴾ **[الحجر:٨٧]**.

قيل : قيل السَّبْعُ الْمَثَانِي السُّوَرُ الطِّوَالُ الْأُوَلُ وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ أُمُّ الْقُرْآنِ، وَقِيلَ السَّبْعُ الْمَثَانِي أُمُّ الْقُرْآنِ، وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ سَائِرُهُ.

وقال تعالى : ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٢٨﴾﴾ **[سبأ:٢٨]**.

وقال تعالى : ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ﴿١٥٨﴾﴾ **[الأعراف:١٥٨]** فهذه من خصائصه ﷺ.

قال تعالى : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ ﴿٤﴾ ﴾ **[إبراهيم: ٤]**، فخصهم بقومهم و بعث محمدًا ﷺ إلى الخلق كافة كما قال ﷺ بعثت إلى الأحمر والأسود.

وقال تعالى: ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡ ﴿٦﴾ ﴾ **[الأحزاب: ٦]** حَكِيمًا

قال أهل التفسير: أولى بالمؤمنين، أي : ما أنفذه فيهم من أمر فهو ماض عليهم كما يمضي حكم السيد على عبده .

وقيل : اتباع أمره أولى من اتباع رأي النفس، وأزواجه أمهاتهم أي هن في الحرمة كالأمهات حرم نكاحهن عليهم بعده تكرمة له وخصوصية ولأنهن له أزواج في الآخرة، وقال الله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُۚ وَكَانَ فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾ ﴾ **[النساء: ١١٣]**

قيل : فضله العظيم بالنبوة، وقيل بما سبق له ﷺ في الأزل وأشار الواسطي إلى أنها إشارة إلى احتمال الرؤية التي لم يحتملها موسى – عليه الصلاة والسلام– .

تكميل الله له المحاسن خَلقا وخُلقًا ﷺ

اعلم أيها المحب لهذا النبي الكريم ﷺ الباحث عن تفاصيل جملة قدره العظيم، أن خصال الجلال والكمال في البشر نوعان:

ضروري دنيوي : اقتضته الجبلة ، وضرورة الحياة الدنيا.

ومكتسب ديني : وهو ما يحمد فاعله ويقرب إلى الله سبحانه زلفى.

ثم هي على فنين أيضا: منها ما يتخلص لأحد الوصفين. ومنها: ما يتمازج ويتداخل.

فأما الضروري المحض فما ليس للمرء فيه اختيار ولا اكتساب، مثل: ما كان في جبلته ﷺ من كمال خلقته، وجمال صورته، وقوة عقله، وصحة فهمه، وفصاحة لسانه، وقوة حواسه، وأعضائه، واعتدال حركاته، وشرف نسبه، وعزة قومه، وكرم أرضه، و يلحق به ما تدعوه ضرورة حياته إليه من غذائه، ونومه، وملبسه، ومسكنه، ومنكحه، وما له وجاهة، وقد تلحق هذه الخصال الآخرة بالأخروية، إذا قصد بها التقوى ومعونة البدن على سلوك طريقه، أو كانت على حدود الضرورة وقوانين الشريعة.

وأما المكتسبة الأخروية: فسائر الأخلاق العلية، والآداب الشرعية من الدين والعلم، والحلم والصبر،والشكر، والعدل، والزهد، والتواضع، والعفو، والعفة، والجود، والشجاعة، والحياء، والمروءة، والصمت، والتؤدة، والوقار، والرحمة وحسن الأدب، والمعاشرة وأخواتها، و هي التي جماعها حسن الخلق.

وقد يكون من هذه الأخلاق ما هو في الغريزة وأصل الجبلة لبعض الناس، وبعضهم لا تكون فيه فيكتسبها ولكنه لا بد أن يكون فيه من أصولها في أصل الجبلة شعبة، وتكون هذه الأخلاق دنيوية إذا لم يرد بها وجه الله تعالى والدار الآخرة، ولكنها كلها محاسن وفضائل باتفاق أصحاب العقول السليمة، وإذا كانت خصال الكمال والجلال هي ما ذكرناه، ووجدنا الواحد منا يشرف بواحدة منها، أو اثنتين إن اتفقت له في كل عصر إما من نسب، أو جمال، أو قوة، أو علم، أو حلم، أو شجاعة، أو سماحة، حتى يعظم قدره و تضرب

باسمه الأمثال، ويتقرر له بالوصف بذلك في القلوب أثرة وعظمة وهو منذ عصور خوال رمم بوال فما ظنك بعظيم قدر من اجتمعت فيه كل هذه الخصال إلى ما لا يأخذه عد ولا يعبر عنه مقال، ولا ينال بكسب ولا خيلة إلا بتخصيص الكبير المتعال: من فضيلة النبوة، والرسالة، والخلة والمحبة، والاصطفاء، والإسراء، والرؤية، والقرب، والدنو، والوحي، والشفاعة، والوسيلة، والدرجة الرفيعة، والمقام المحمود، والبراق، والمعراج، والبعث إلى الأحمر والأسود، والصلاة بالأنبياء، والشهادة بين الأنبياء، ، وسيادة ولد آدم، ولواء الحمد، والبشارة، والنذارة، والمكانة عند ذي العرش والطاعة والأمانة، والهداية ورحمة العالمين، وإعطاء الرضا، والسؤال، والكوثر، وسماع القول، وإتمام النعمة، والعفو عما تقدم وما تأخر، وشرح الصدر، ووضع الوزر، ورفع الذكر، وعزة النصر، ونزول السكينة، والتأييد بالملائكة، وإيتاء الكتاب، والحكمة، والسبع المثاني، والقرآن العظيم، وتزكية الأمة، والدعاء إلى الله تعالى، وصلاة الله والملائكة، والحكم بين الناس بما أراد الله، ووضع الإصر والأغلال عنهم، والقسم باسمه وإجابة دعوته، وتكليم الجمادات العجم، وإحياء الموتى، وإسماع الصم، ونبع الماء من بين الأصابع، وتكثير القليل من الطعام، وانشقاق القمر ورد الشمس، وقلب الأعيان، والنصر بالرعب، والاطلاع على الغيب، وتظليل الغمام، وتسبيح الحصى، وإبراء الآلام، والعصمة من الناس إلى ما لا يحويه محتفل، ولا يحيط بعلمه إلامانحه ذلك ومفضله به لا إله غيره إلى ما أعد الله تعالى له في الدار الآخرة من منازل الكرامة ودرجات القدس، ومراتب السعادة والحسنى والزيادة، التي تقف دونها العقول ويحار دون أدانيها الوهم .

فإن قلت أكرمك الله لاخفاء على القطع بالجملة أنه ﷺ أعلى الناس قدرًا وأعظمهم محلًا وأكرمهم محاسن وفضلًا وقد ذهبت في تفاصيل الخصال مذهبًا جميلاً شوقني أن أقف عليها من أوصافه ﷺ تفصيلاً .

فاعلم نوّر الله قلبي وقلبك، وضاعف في هذا النبي الكريم حبي وحبك بأنك إذا نظرت إلى خصال الكمال التي هي غير مكتسبة، وفي جبلته الخلقة وجدته ﷺ حائز لجميعها محيطًا بشتات محاسنها دون خلاف بين نقلة الأخبار بذلك، بل قد بلغ بعضها مبلغ القطع .

أما الصورة وجمالها وتناسب أعضائه ﷺ في حسنها فقد جاءت الآثار الصحيحة والمشهورة الكثيرة بذلك، فمنها : حديث علي وكثير من الصحابة - رضي الله عنهم- من أنه ﷺ «**كَانَ أَزْهَرَ اللَّوْنِ أَدْعَجَ أَنْجَل أَشْكَلَ أَهْدَبَ الْأَشْفَارِ أَبْلَجَ أَزَجٌ أَقْنَى أَفْلَجَ مُدَوَّرَ الْوَجْهِ وَاسِعُ الْجُبِينِ كَثُّ اللِّحْيَةِ تَمْلَأُ صَدْرَهُ سَوَاءَ البَطْنِ وَالصَّدْرِ وَاسِعَ الصَّدْرِ عَظِيمَ الْمُنْكِبَيْنِ ضَخْمَ الْعِظَامِ عَبْلَ الْعَضُدَيْنِ وَالذِّرَاعَيْنِ وَالْأَسَافِلِ رَحْب الْكَفَّيْنِ وَالْقَدَمَيْنِ سَائِلُ الْأَطْرَافِ النُّورِ الْمُتَجَرِّدُ دَقِيقَ الْمُسْرُبَةِ رَبْعَةُ الْقَدِّ لَيْسَ بِالطَّوِيلِ الْبَائِنِ وَلَا الْقَصِيرِ الْمُتَرَدِّدِ وَمَعَ ذَلِكَ فَلَمْ يَكُنْ يُمَاشِيهِ أَحَدٌ يُنْسَبُ إِلَى الطُّولِ إِلَّا طَالَهُ وَكَانَ ﷺ رَجلُ الشَّعْرِ إِذَا افْتَرَّ ضَاحِكًا افْتَرَّ عَنْ مِثْلِ سَنَّا الْبَرْقِ وَعَنْ مِثْلِ حَبِّ الْغَمَامِ إِذَا تَكَلَّمَ رُؤِيَ كَالنُّورِ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ ثَنَايَاهُ أَحْسَنَ النَّاسِ عُنُقًا لَيْسَ بِبُطهم وَلَا مُكَلثم مُتَمَاسِكِ الْبَدَنِ ضَرْبُ اللَّحْمِ**».

قَالَ الْبَرَاءُ : «**مَا رَأَيْتُ مِنْ ذِي لِمَّةٍ** (٢٨)، **فِي حُلَّةٍ حَمْرَاءَ ، أَحْسَنَ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ**»(٢٩) .

وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: «**مَا رَأَيْتُ شَيْئًا أَحْسَنَ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ؛ كَأَنَّ الشَّمْسَ تَجْرِي فِي وَجْهِهِ، وَإِذَا ضَحِكَ يَتَلَأْلَأُ فِي الْجُدُرِ**»(٣٠).

قِيلَ لِجَابِرِبن سمرة : «**أَكَانَ وَجْهُ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِثْلَ السَّيْفِ**[٣١]؟ **قَالَ: «لَا بَلْ مِثْلَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ**»(٣٢).

---

(٢٨) المراد أنه لم يرى أحدا صاحب شعر موفور خلف الرأس بجوار الأذن في حال ارتداء حلة حمراء أبهى منظرًا من رسول الله ﷺ.

(٢٩) أخرجه البخاري في «صحيحه »: (٥٩٠١)، ومسلم في «صحيحه »: (٢٣٣٧) .

(٣٠) أخرجه الترمذي في «سننه »: (٣٦٤٨).

وقالت أم معبد في بعض ما وصفته به ﷺ:« **أَجْمَلُ النَّاسِ مِنْ بَعِيدٍ ، وَأَحْلَاهُ وَأَحْسَنُهُ مِنْ قَرِيبٍ**»(٣٣).

وفي حديث ابن أبي هالة – رضي الله عنه– « **يَتَلأْلأُ وَجْهُهُ تَلأْلُؤَ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ**»(٣٤).

وقال علي –رضي الله عنه– فى آخر وصفه له ﷺ :« مَنْ رَآهُ بَدِيهَةً هَابَهُ، وَمَنْ خَالَطَهُ مَعْرِفَةً أَحَبَّهُ، يَقُولُ نَاعِتُهُ: لَمْ أَرَ قَبْلَهُ وَلاَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ ﷺ»(٣٥).

وَأَمَّا نَظَافَةُ جِسْمِهِ وَطِيبُ رِيحِهِ وَعَرَقِهِ وَنَزَاهَتُهُ عَنِ الْأَقْذَارِ وَعَوْرَاتِ الْجَسَدِ فَكَانَ قَدْ خَصَّهُ اللهُ تَعَالَى فِي ذَلِكَ بِخَصَائِصٍ لَمْ تُوجَدْ فِي غَيْرِهِ ثُمَّ تَمَّمَهَا بِنَظَافَةِ الشَّرْعِ وَخِصَالِ الْفِطْرَةِ الْعَشْرِ.

قال ﷺ: « **بُنِيَ الدِّينُ عَلَى النَّظَافَةِ** ».

قال أنس –رضى الله عنه–: « **مَا شَمَمْتُ عَنْبَرًا قَطُّ، وَلَا مِسْكًا، وَلَا شَيْئًا أَطْيَبَ مِنْ رِيحِ رَسُولِ اللهِ ﷺ**»(٣٦) .

وَعَنْ جَابِرِ بن سَمُرَةَ –رَضِيَ اللهُ عَنْهُ– «**أَنَّهُ ﷺ مَسَحَ خَدَّهُ قَالَ فَوَجَدْتُ لِيَدِهِ بَرْدًا وَرِيحًا كَأَنَّمَا أَخْرَجَهَا مِنْ جُؤْنَةِ عَطِرَةٌ**»(٣٧).

---

(٣١) المراد هو: تشبيه وجه رسول الله ﷺ بالسيف في شدة اللمعان ودقة الملامح.

(٣٢) أخرجه ومسلم في «صحيحه »: (٢٣٤٤)، والطبراني في «المعجم الكبير »: (١٩٢٦).

(٣٣) أخرجه البيهقي في «الدلائل» : (١/ ٢٧٩)

(٣٤) أخرجه الترمذي في «الشمائل» : (٨) .

(٣٥) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير»: (٤١٤) .

(٣٦) أخرجه مسلم في «صحيحه»: (٢٣٣٠) .

(٣٧) أخرجه مسلم في «صحيحه»: (٢٣٢٩) .

قَالَ غَيْرُهُ : مَسَّهَا بِطِيبٍ أَمْ لَمْ يَمَسَّهَا يُصَافِحُ الْمُصَافِحَ فَيَظَلُّ يَوْمَهُ يَجِدُ رِيحَهَا وَيَضَعُ يَدَهُ عَلَى رَأْسِ الصَّبِيِّ فَيُعْرَفُ مِنْ بَيْنِ الصِّبْيَانِ بِرِيحِهَا.

وعن جابر –رضى الله عنه– « **لَمْ يكن النبي ﷺ يمر في طريق فَيَتْبَعُهُ أَحَدٌ إِلَّا عَرَفَ أَنَّهُ سَلَكَهُ مِنْ طِيبِهِ** »(٣٨).

وذكر إسحاق بن راهويه أن تلك كانت رائحته بلا طيب ﷺ وذكر عدة أحاديث أخرى في طيب عرقه ﷺ وفضلاته، ونقل عن جماعة من أصحاب الشافعي ،ومالك طهارة الحدثين منه ﷺ ثم ذكر حديث علي – رضى الله عنه– قال « **لَمَّا غَسَّلْتُ النَّبِيَّ ﷺ ذَهَبْتُ لِأَنْظُرَ مَا يَكُونُ مِنَ الْمَيِّتِ، فَلَمْ أَرَ شَيْئًا، فَقُلْتُ: كَانَ طَيِّبًا حَيًّا وَمَيِّتًا** »(٣٩).

وشرب بعض الصحابة –رضي الله عنهم– دمه(٤٠).

وبعضهم بوله ﷺ ولم يأمر واحدًا منهم بغسل فمه ولا نهاه عن عوده.

وولد ﷺ مختونًا مقطوع السرة(٤١) .

ورُوي عن أمه آمنة أنها قالت : « **وَلَدْتُهُ نَظِيفًا، مَا بِهِ قَذَرٌ** » (٤٢).

---

(٣٨) أخرجه البخاري في «التاريخ الكبير»: (١٢٧٣) .

(٣٩) أخرجه البزار في «مسنده»: (٥١٩) .

(٤٠) عن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مَاعِزٍ ، قَالَ: «سَمِعْتُ عَامِرَ بْنَ عَبْدِ اللهَّ بْنِ الزُّبَيْرِ يُحَدِّثُ ، أَنَّ أَبَاهُ حَدَّثَهُ ، أَنَّهُ أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَحْتَجِمُ ، فَلَمَّا فَرَغَ قَالَ: " يَا عَبْدَ اللهَّ ، اذْهَبْ بِهَذَا الدَّمِ فَأَهْرِقْهُ حَيْثُ لَا يَرَاكَ أَحَدٌ " ، فَلَمَّا بَرَزْتُ عَنْ رَسُولِ اللهَّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَمَدْتُ إِلَى الدَّمِ فَحَسَوْتُهُ ، فَلَمَّا رَجَعْتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺقَالَ: " مَا صَنَعْتَ يَا عَبْدَ اللهَّ ؟ " قَالَ: جَعَلْتُهُ فِي مَكَانٍ ظَنَنْتُ أَنَّهُ خَافٍ عَلَى النَّاسِ ، قَالَ: " فَلَعَلَّكَ شَرِبْتَهُ ؟ " قُلْتُ: نَعَمْ ، قَالَ: " وَمَنْ أَمَرَكَ أَنْ تَشْرَبَ الدَّمَ ؟ وَيْلٌ لَكَ مِنَ النَّاسِ ، وَوَيْلٌ لِلنَّاسِ مِنْكَ». أخرجه الحاكم في «مستدركه»: (٦٣٤٣) .

(٤١) أخرجه أحمد في «مسنده»: (٢٠٥٢٠) .

(٤٢) أخرجه ابن سعد في «طبقاته»: (١/ ١٠٢) .

وأما وفور عقله ﷺ ،وذكاء لبه، وقوة حواسه، وفصاحة لسانه، واعتدال حركاته، وحسن شمائله ﷺ، فلا مرية أنه كان أعقل الناس وأذكاهم ،ومن تأمل تدبيره أمر بواطن الخلق وظواهرهم، وسياسته للعامة والخاصة مع عجيب شمائله و بديع سيره، فضلاً عما أفاضه من العلم وقرره من الشرع دون تعلم سبق ولا ممارسة تقدمت ولا مطالعة للكتب منه لم يمتر في رجحان عقله ﷺ، وثقوب فهمه لأول بديهة وهذا ما لا يحتاج إلى تقريره لتحققه .

وقد قال وهب بن منبه : «**قرأتُ في واحد وسبعين كتابًا فوجدتُ في جميعها أن النبي ﷺ أرجح الناس عقلاً وأفضلهم رأيًا**».

وفي رواية أخرى فوجدت في جميعها أنَّ الله تعالى لم يعطِ جميع الناس من بدء الدنيا إلى انقضائها من العقل في جنب عقله ﷺ إلا كحبة رمل من بين رمال الدنيا.

وقال مجاهد « **كَانَ رَسُولُ اللهِّ ﷺ يَرَى مَنْ خَلْفِهِ فِي الصَّلَاةِ كَمَا يَرَى مَنْ بَيْنِ يَدَيْهِ** »(٤٣)، وكان ﷺ من أقوى الناس وقد صرع ركانة أشد أهل وقته .

وقال أبو هريرة «**ما رأيت أحدا أسرع من رسول الله ﷺ في مشيه كأنما الأرض تطوى له وإنا لنجهد أنفسنا وهو غير مكترث**» ٤٤.

وفي صفته ﷺ «**أن ضحكه كان تبسمًا إِذَا الْتَفَتَ الْتَفَتَ مَعًا وإذا مَشَى تَقَلَّعَ**(٤٥) **كَأَنَّمَا يَمْشِي فِي صَبَبٍ** »(٤٦) .

---

(٤٣) أخرجه ابن حجر في « المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية »: (٣٦٧٦) .

(٤٤) أخرجه القاضي عياض في «الشفا»: (١/ ٦٩)

(٤٥) والمعنى أنه ﷺ لم يكن يلتفت لأحد برأسه دون باقي جسده ولكن كان يلتفت إليه برأسه وجسده جميعًا، والتقلع في المشي هو الإسراع.

(٤٦) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه»: (٣٢٤٦٥) .

وأما فصاحة اللسان و بلاغة القول : فقد كان ﷺ من ذلك بالمحل الأفضل والموضع الذي لا يجهل سلاسة طبع وبراعة منزع وإيجاز مَقطَع وفصاحة لفظ وجزالة قول وحجة معان وقلة تكلف أوتى جوامع الكلم وخص ببدائع الحكم وعلم ألسنة العرب فكان ﷺ يخاطب كل أمة منهم بلسانها و يحاورها بلغتها و يباريها في منزع بلاغتها .

أما كلامه المعتاد وفصاحته المعلومة وجوامع كلمه، وحكمه المأثورة ﷺ فقد ألف الناس فيها الدواوين، وجمعت في ألفاظها ومعانيها الكتب.

وقد قال له الأعرابي : « مَا رَأَيْتُ الَّذِيَ هُوَ أَفْصَحُ مِنْكَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَمَا يَمْنَعُنِي، وَقَدْ نَزَلَ الْقُرْآنُ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ؟ »(٤٧).

قال مرة أخرى «**بيدَ أَنِّي مِنْ قُرَيْشٍ، وَنَشَأْتُ فِي بَنِي سَعْدٍ** »، فمجمع له ﷺ بقوة عارضة البادية وجزالتها ونصاعة ألفاظ الحاضرة ورونق كلامها إلى التأييد الإلهي الذي مدده الوحي الذي لا يحيط بعلمه بشر .

وقالت أم معبد – رضى الله عنها– في وصفها له ﷺ « **حُلْوُ الْمَنْطَقِ، فَصْلٌ لَا هَذِرٌ وَلَا تَزِرٌ، كَأَنَّ مَنْطِقَهُ خَرَزَاتٌ نَظْمٌ يَتَحَدَّرْنَ** »(٤٨) .

وأما شرف نسبه ﷺ وكرم بلده ومنشئه: فهذ مما لا يحتاج إلى إقامة دليل عليه ولا بيان مشكل ولا خفي منه فإنه ﷺ نخبة بني هاشم نخبة قريش وصميمها وأشرف العرب وأعزهم نفرا من قبل أبيه وأمه وهو ﷺ من أهل مكة من أكرم بلاد الله على الله وعلى عباده .

روى البخاري عن أبي هريرة – رضى الله عنه– أن النبي ﷺ قال «**بُعِثْتُ مِنْ خَيْرِ قُرُونِ بَنِي آدَمَ، قَرْنًا فَقَرْنًا، حَتَّى كُنْتُ مِنَ القَرْنِ الَّذِي كُنْتُ فِيهِ**»(٤٩).

---

(٤٧) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان»: (١٣٦٣) .

(٤٨) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير»: (٣٦٠٥) .

(٤٩) أخرجه البخاري في «صحيحه»: (٣٥٥٧) .

وعن العباس بن عبد المطلب -رضى الله عنه- قال: قال النبي ﷺ «**إِنَّ اللهَّ خَلَقَ الخَلْقَ فَجَعَلَنِي مِنْ خَيْرِهِمْ مِنْ خَيْرِ فِرَقِهِمْ وَخَيْرِ الفَرِيقَيْنِ، ثُمَّ تَخَيَّرَ القَبَائِلَ فَجَعَلَنِي مِنْ خَيْرِ قَبِيلَةٍ، ثُمَّ تَخَيَّرَ البُيُوتَ فَجَعَلَنِي مِنْ خَيْرِ بُيُوتِهِمْ، فَأَنَا خَيْرُهُمْ نَفْسًا، وَخَيْرُهُمْ بَيْتًا**»(٥٠) .

وعن واثلة بن الأسقع -رضى الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ : «**إِنَّ اللهَّ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ بَنِي إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى مِنْ بَنِي كِنَانَةَ قُرَيْشًا، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ**»(٥١).

وروى الطبراني عن ابن عمر أنه ﷺ قال « **إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ، وَالْأَرْضَ سَبْعًا، فَاخْتَارَ الْعُلْيَا مِنْهَا فَسَكَنَهَا، وَأَسْكَنَ سَمَاوَاتِهِ مَنْ شَاءَ مِنْ خَلْقِهِ، وَخَلَقَ الْأَرْضَ سَبْعًا، فَاخْتَارَ الْعُلْيَا مِنْهَا فَأَسْكَنَهَا مَنْ شَاءَ مِنْ خَلْقِهِ، وَخَلَقَ الْخَلْقَ فَاخْتَارَ مِنَ الْخَلْقِ بَنِي آدَمَ، وَاخْتَارَ مِنْ بَنِي آدَمَ الْعَرَبَ، وَاخْتَارَ مِنَ الْعَرَبِ مُضَرَ، وَاخْتَارَ مِنْ مُضَرَ قُرَيْشًا، وَاخْتَارَ مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاخْتَارَنِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ، فَأَنَا مِنْ خِيَارٍ إِلَى خِيَارٍ، فَمَنْ أَحَبَّ الْعَرَبَ فَبِحُبِّي أَحَبَّهُمْ، وَمَنْ أَبْغَضَ الْعَرَبَ فَبِبُغْضِي أَبْغَضَهُمْ**»(٥٢).

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: « **أَنَّ قُرَيْشًا كَانَتْ نُورًا بَيْنَ يَدَيِ اللهَّ عَزَّ وَجَلَّ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ آدَمَ بِأَلْفَيْ عَامٍ يُسَبِّحُ ذَلِكَ النُّورُ وَتُسَبِّحُ الْمَلَائِكَةُ بِتَسْبِيحِهِ ، فَلَمَّا خَلَقَ اللهَّ عَزَّ وَجَلَّ آدَمَ أَلْقَى ذَلِكَ النُّورَ فِي صُلْبِهِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ: «فَأَهْبَطَنِي اللهَّ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى الْأَرْضِ فِي صُلْبِ آدَمَ ، وَجَعَلَنِي فِي صُلْبِ نُوحٍ فِي سَفِينَتِهِ ، وَقَذَفَ بِي فِي النَّارِ فِي صُلْبِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، ثُمَّ لَمْ يَزَلْ يَنْقُلُنِي فِي الْأَصْلَابِ الْكَرِيمَةِ إِلَى الْأَرْحَامِ الطَّاهِرَةِ ، حَتَّى أَخْرَجَنِي مِنْ بَيْنَ أَبَوَيَّ ، وَلَمْ يَلْتَقِيَا عَلَى سِفَاحٍ قَطُّ**»(٥٣).

---

(٥٠) أخرجه الترمذي في «سننه»: (٣٦٠٧) .

(٥١) أخرجه مسلم في «صحيحه» : (٢٢٧٨)، والترمذي في «سننه» : (٣٦٠٥).

(٥٢) أخرجه الحاكم في «مستدركه»: (٦٩٥٣)، والطبراني في «المعجم الكبير»: (١٣٦٥٠) .

(٥٣) أخرجه الآجري في «الشريعة» : (٩٦٠) .

وَأَمَّا الْجَاهُ فَمَحْمُودٌ عِنْدَ الْعُقَلَاءِ عَادَةً، وَبِقَدْرِ جَاهِهِ عِظَمُهُ فِي الْقُلُوبِ.

وقد قال تعالى في صفة عيسى -عليه الصلاة والسلام-: ﴿وَجِيهًا فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾﴾ **[آل عمران: ٤٥]** لكن آفاته كثيرة فهو منفر لبعض الناس لعقبى الآخرة فلذلك ذمه من ذمه ومدح ضده.

وَوَرَدَ فِي الشَّرْعِ مَدْحُ الخُمُولِ(٥٤)، وَذَمُّ العلو في الأرض، وَكَانَ ﷺ قَدْ رُزِقَ مِنَ الْحِشْمَةِ، وَالْمَكَانَةِ فِي الْقُلُوبِ، وَالْعَظْمَةِ قَبْلَ النُّبُوَّةِ، عِنْدَ الْجَاهِلِيَّةِ وَبَعْدَهَا، وَهُمْ يُكَذِّبُونَهُ، وَيُؤْذُونَ أَصْحَابَهُ، وَيَقْصِدُونَ أَذَاهُ فِي نَفْسِهِ خِفْيَةً، حَتَّى إِذَا وَاجَهَهُمْ أَعَظَمُوا أَمْرَهُ، وَقَضَوْا حَاجَتَهُ. وَأَخْبَارُهُ فِي ذَلِكَ مَعْرُوفَةٌ سَيَأْتِي بَعْضُهَا.

وَقَدْ كَانَ يَبْهَتُ وَيَفْرَقُ لِرُؤْيَتِهِ ﷺ مَنْ لَمْ يَرَهُ، كَمَا روي عن قبيلة : أَنَّهَا لَمَّا رَأَتْهُ أَرْعَدَتْ مِنَ الْفَرَقِ ، فَقَالَ: «يَا مِسْكِينَةُ عَلَيْكِ السَّكِينَةُ»(٥٥).

وفي حديث ابن مسعود «**هَوِّنْ عَلَيْكَ، فَإِنِّي لَسْتُ بِمَلِكٍ إِنَّمَا أَنَا ابْنُ امْرَأَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ، كَانَتْ تَأْكُلُ الْقَدِيدَ**» (٥٦).

وأما عظيم قدره بالنبوة وشريف منزلته بالرسالة وأناقة رتبته بالاصطفاء والكرامة في الدنيا فأمر هو مبلغ النهاية ثم هو في الآخرة سيد ولد ادم ﷺ

وأما الخصال المكتسبة من الأخلاق الحميدة والآداب الشريفة التي اتفق جميع العقلاء على تفضيل صاحبها وتعظيم المتصف بالخلق الواحد منها فضلاً عما فوقها وأثنى الشرع على جميعها و أمر بها ووعد بالسعادة الدائمة للمتخلق بها ووصف بعضها بأنه من أجزاء النبوة وهي المسماة بحسن الخلق وهو الاعتدال في قوى النفس وأوصافها والتوسط فيها دون الميل

---

(٥٤) المراد بالخمول : أن يكون لدى الإنسان الرغبة في عدم الشهرة، وأن يكون مستور الحال بين عموم الناس.

(٥٥) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير»: (٢٥/ ٨) .

(٥٦) أخرجه ابن ماجه في «سننه» : (٢٣١٢)، والطبراني في « المعجم الأوسط» : (١٢٦٠) .

إلى منحرف أطرافها فجميعها قد كانت خلق نبينا ﷺ على الانتهاء في كمالها والاعتدال في غايتها حتى أثنى الله تعالى عليه بذلك فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ **[القلم: ٤]**.

قالت عائشة -رضي الله عنها- : « كَانَ خُلُقُهُ ﷺ الْقُرْآنَ، يَرْضَى لِرِضَاهُ وَيَسْخَطُ لِسَخَطِهِ»(٥٧).

وقال ﷺ : « **إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ**»(٥٨).

وقال أنس – رضي الله عنه- : «**كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقًا**»(٥٩).

وكان ﷺ فيما ذكره المحققون مجبولاً عليها في أصل خلقته وأصل فطرته لم تحصل له باكتساب ولا برياضة إلا بجود إلهي وخصوصية ربانية وهكذا سائر الأنبياء ومن طالع سيرهم منذ صباهم إلى مبعثهم تحقق ذلك كما عرف من حال عيسى وموسى و يحيى وسليمان وغيرهم -عليهم السلام- .

وَقَدْ حَكَى أَهْلُ السِّيَرِ: **أَنَّ آمنة بنت وهب، أخبرت أن نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا ﷺ وُلِدَ حِينَ وُلِدَ بَاسِطًا يَدَيْهِ إِلَى الْأَرْضِ، رَافِعًا رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ** .

وَقَالَ فِي حَدِيثِهِ ﷺ: : «**لَمَّا نَشَأْتُ بُغِّضَتْ إِلَيَّ الْأَوْثَانُ، وَبُغِّضَ إِلَيَّ الشِّعْرُ، وَلَمْ أَهُمَّ بِشَيْءٍ مِمَّا كَانَتِ الْجَاهِلِيَّةُ تَفْعَلُهُ إِلَّا مَرَّتَيْنِ، فَعَصَمَنِي اللهُ مِنْهُمَا، ثُمَّ لَمْ أَعُدْ**»(٦٠) .

---

(٥٧) أخرجه أحمد في «مسنده» : (٢٥٣٠٢) .

(٥٨) أخرجه البيهقي في «السنن الكبرى» : (٢٠٧٨٢) .

(٥٩) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» : (٢٥٣٣٦) .

(٦٠) سبق تخريجه .

وصف عقله ﷺ

إنَّ أخلاقه ﷺ المحمودة وخصاله الجميلة كثيرة، لكن نذكر أصولها ونشير إلى جميعها ونحقق وصفه ﷺ بها إن شاء الله تعالى.

أما أصل فروعها، وعنصر ينابيعها، ونقطة دائرتها، فالعقل الذي منه ينبعث العلم والمعرفة ويتفرع عن هذا ثقوب الرأي وجودة الفطنة والإصابة وصدق الظن والنظر للعواقب ومصالح النفس ومجاهدة الشهوة وحسن السياسة والتدبير واقتناء الفضائل وتجنب الرذائل.

وقد أشرنا إلى مكانه منه ﷺ وبلوغه منه ومن العلم الغاية التي لم يبلغها بشر سواء، وجلالة محله من العقل ومما تفرع عنه تحققة عند من تتبع مجاري أحواله واضطراد سيره وطالع جوامع كلمه وحسن شمائله و بدائع سيره وحكم حديثه وعلمه بما في التوراة والإنجيل والكتب المنزلة وحكم الحكماء وسير الأمم الخالية وأيامها وضرب الأمثال وسياسات الأنام وتقرير الشرائع وتأصيل الآداب النفيسة والشيم الحميدة إلى فنون العلوم التي اتخذ أهلها كلامه عليه الصلاة والسلام فيها قدوة و إشاراته حجة كالعبارة والطب والحساب والفرائض والنسب وغير ذلك مما هو مبسوط في معجزاته ﷺ دون تعليم(٦١) ولا مدارسة ولا مطالعة كتب من تقدم ولا الجلوس إلى علمائهم بل نبي أمي لم يعرف شيئا من ذلك حتى شرح الله صدره وأبان أمره وعلمه وأقرأه.

يُعلَمُ ذلك ضرورة بالمطالعة والبحث عن حاله ﷺ و بالبرهان القاطع على نبوته نظرا فلا نطول سرد الأقاصيص وآحاد القضايا إذ مجموعها ما لا يأخذه حصر و لا يحيط به حفظ وبحسب عقله كانت معارفه عليه الصلاة و السلام إلى سائر ما أطلعه الله عليه من علم ما

---

(٦١) المراد : أنّ من جملة معجزات نبينا ﷺ وكذا سائر الأنبياء والمرسلين إدراكهم لعلوم أهل زمانهم وبالكتب المنزلة بشكل فطري على سبيل المعجزة له ﷺ.

يكون وما كان(٦٢) وعجائب قدرته وعظيم ملكوته قال الله تعالى ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾﴾ **[النساء:١١٣]** .

حارت العقول في تقدير فضله عليه وخَرَسَت الألسن دون وصفٍ يحيط بذلك أو ينتهى إليه ﷺ وزاده زلفى لديه.

---

(٦٢) ذلك أنَّ الله – عز وجل – قد أطلع رسوله ﷺعلى المغيبات من العلوم والأحداث، مثل : إخباره عن أحوال الأمم السابقة، كعاد وثمود وأصحاب الكهف، وأحوال ما سيكون مثل : هزيمة الروم في أدنى الأرض، وإخباره ﷺ بأحداث الفتن والعجائب.

وصف حلمه واحتماله وعفوه وصبره ﷺ

وأما الحِلم والاحتمال، والعفو والقدرة، والصبر على ما يكره فهذا كله مما أدَّب الله تعالى عليه نبيه ﷺ فقال تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ **[الأعراف:١٩٩]**، روي أن النبي ﷺ لما نزلت هذه الآية سأل جبريل - عليه السلام- عن تأويلها فقال حتى أسأل العالم ثم ذهب فأتاه فقال: يا محمد إن الله يأمرك أن تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتعفوا عمن ظلمك.

وقال تعالى ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ ﴿١٧﴾﴾ **[لقمان:١٧]**. الآية وقال تعالى ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ ﴿٣٥﴾﴾ **[الأحقاف:٣٥]** تعالى ﴿وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ ﴿٢٢﴾﴾ **[النور:٢٢]** الآية وقال ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾﴾ **[الشورى:٤٣]**، ولا خفاء بما يؤثر من حِلمِهِ و احتماله ﷺ وأن كل حليم قد عرفت منه زلة وحفظت عنه هفوة وهو ﷺ لا يزيد مع كثرة الأذي إلا صبرًا وعلى إسراف الجاهل إلاحلمًا.

رَوَى الْإِمَامُ مَالِكٌ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا «**قَالَتْ مَا خُيِّرَ رَسُولُ الله ﷺ فِي أَمْرَيْنِ قَطُّ إِلَّا اخْتَارَ أَيْسَرَهُمَا مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا فَإِنْ كَانَ إِثْمًا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ وَمَا انْتَقَمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِنَفْسِهِ إِلَّا أَنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ اللهِ تَعَالَى فَيَنْتَقِمَ لله بِهَا**»(٦٣).

وروى أن النبي ﷺ لما كُسِرَت رباعيته وشُجَّ وجهه يوم أحد شق ذلك على أصحابه شديدا وقالوا لو دعوت عليهم فقال ﷺ: «**إِنِّي لَمْ أُبْعَثْ لَعَّانًا، وَإِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً**(٦٤)، **اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ**».

---

(٦٣) أخرجه البخاري في «صحيحه» : (٦١٢٦) .

(٦٤) أخرجه مسلم في «صحيحه» : (٢٥٩٩) .

قال القاضي عياض رحمه الله : فانْظُرْ مَا فِي هَذَا الْقَوْلِ مِنْ جِمَاعِ الْفَضْلِ وَدَرَجَاتِ الْإِحْسَانِ، وَحُسْنِ الْخُلُقِ، وَكَرَمِ النَّفْسِ، وَغَايَةِ الصَّبْرِ وَالْحِلْمِ، إِذْ لَمْ يَقْتَصِرْ ﷺ عَلَى السُّكُوتِ عَنْهُمْ، حَتَّى عَفَا عَنْهُمْ، ثُمَّ أَشْفَقَ عَلَيْهِمْ وَرَحِمَهُمْ، وَدَعَا، وسفع لَهُمْ، فَقَالَ: «اغْفِرْ» أَوِ «اهْدِ» . ثُمَّ أَظْهَرَ سَبَبَ الشَّفَقَةِ وَالرَّحْمَةِ بِقَوْلِهِ «لِقَوْمِي» ثُمَّ اعْتَذَرَ عَنْهُمْ بِجَهْلِهِمْ، فَقَالَ «فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ» .

وَلَمَّا قَالَ لَهُ الرَّجُلُ: «**اعْدِلْ فَإِنَّ هَذِهِ قِسْمَةٌ مَا أُرِيدَ بِهَا وَجْهَ اللهِ**» لَمْ يَزِدْهُ فِي جوابه أن بين لَهُ مَا جَهِلَهُ، وَوَعَظَ نَفْسَهُ، وَذَكَّرَهَا بِمَا قال له.

فَقَالَ : «وَيْحَكَ فَمَنْ يَعْدِلُ إِنْ لَمْ أَعْدِلْ خِبْتُ وَخَسِرْتُ إِنْ لَمْ أَعْدِلْ، وَنَهَى مَنْ أَرَادَ مِنْ أَصْحَابِهِ قَتْلَهُ» .

– وَلَمَّا تَصَدَّى لَهُ غورث بن الحارث ليفتك به ﷺ، وهو مُنْتَبِذٌ تَحْتَ شَجَرَةٍ وَحْدَهُ قَائِلًا ، وَالنَّاسُ قَائِلُونَ فِي غزاة فلم ينته رسول ﷺ إلا وَهُوَ قَائِمٌ، وَالسَّيْفُ صَلْتًا فِي يَدِهِ.

فَقَالَ: من يمنعك مني.

فقال ﷺ: «الله» .

فَسَقَطَ السَّيْفُ مِنْ يَدِهِ، فَأَخَذَهُ النَّبِيُّ ﷺ.

وَقَالَ: «مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي» .

قَالَ: كُنْ خَيْرَ آخِذٍ.

فَتَرَكَهُ وَعَفَا عَنْهُ، فَجَاءَ إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ: جِئْتُكُمْ مِنْ عِنْدِ خَيْرِ النَّاسِ (٦٥) .

---

(٦٥) **انظر: «الشفا»، للقاضي عياض : (١/ ٢٢٢) .**

ومن عظيم خبره ﷺ في العفو: عفوه عن اليهودية التي سممته في الشاة بعد اعترافها على الصحيح من الرواية.

وأنه لم يؤاخذ لبيد بن الأعصم إذ سحره ﷺ وقد أُعلِمَ به وأُوحِيَ إليه بشرح أمره ولا عتب عليه فضلاً عن معاقبته، وكذلك لم يؤاخذ عبد الله بن أُبَيّ وأشباهه من المنافقين بعظيم ما نقل عنهم في جهته قولًا وفعلًا بل قال لمن أشار بقتل بعضهم، لا. حتى لا يُقال : إنَّ محمدًا يقتل أصحابه.

وَعَنْ أَنَسٍ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ– : «**كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَعَلَيْهِ بُرْدٌ غَلِيظُ الْحَاشِيَةِ فَجَذَبَهُ أَعْرَابِيٌّ بِرِدَائِهِ جَذْبَةً شَدِيدَةً حَتَّى أَثَّرَتْ حَاشِيَةُ الْبُرْدِ فِي صَفْحَةِ عَاتِقِهِ الشَّرِيفِ ﷺ ثُمَّ قَالَ الْأَعْرَابِيُّ يَا مُحَمَّدُ احْمِلْ لِي عَلَى بَعِيرِي هَذَيْنِ مِنْ مَالِ اللهِ الَّذِي عِنْدَك فَإِنَّك لَا تَحْمِلُ لِي مِنْ مَالِكَ وَلَا مِنْ مَالِ أَبِيك فَسَكَتَ النَّبِيُّ ﷺ ثُمَّ قَالَ الْمَالُ مَالُ اللهِ وَأَنَا عَبْدُهُ ثُمَّ قَالَ وَيُقَادُ مِنْكَ يَا أَعْرَابِيُّ مَا فَعَلْت بِي قَالَ لَا قَالَ لِمَ قَالَ لِأَنَّك لَا تُكَافِئُ بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ ثُمَّ أَمَرَ أَنْ يُحْمَلَ لَهُ عَلَى بَعِيرِهِ شَعِيرٌ وَعَلَى الْآخَرِ تَمْرٌ**»(٦٦).

وقالت عائشة – رضي الله عنها– :«**مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ مُنْتَصِرًا مِنْ مَظْلِمَةٍ ظُلِمَهَا قَطُّ مَا لَمْ تُنْتَهَكْ مَحَارِمُ اللهِ فَإِذَا انْتُهِكَ مِنْ مَحَارِمِ اللهِ شَيْءٌ كَانَ أَشَدَّهُمْ فِي ذَلِكَ غَضَبًا**»(٦٧)،«**وَمَا ضَرَبَ بِيَدِهِ شَيْئًا قَطُّ إِلَّا أَنْ يُجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَمَا ضَرَبَ خادما وَلَا امْرَأَةً**».

وَجِيءَ إِلَيْه ﷺ بِرَجُلٍ ، فَقِيلَ: هَذَا أَرَادَ أَنْ يَقْتُلَكَ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «**لَنْ تُرَاعَ، لَنْ تُرَاعَ وَلَوْ أَرَدْتَ ذَلِكَ لَمْ تُسَلَّطْ عَلَيَّ**»(٦٨) .

---

(٦٦) **أخرجه البخاري : «صحيح»: (٣١٤٩).**

(٦٧) **أخرجه البزار في «مسنده » : (٣٢٠١) .**

(٦٨) أخرجه النسائي في «السنن الكبرى » : (١٠٨٣٦) .

وَجَاءَهُ زَيْدُ بْنُ سَعْنَةَ قَبْلَ إِسْلَامِهِ يَتَقَاضَاهُ دَيْنًا عَلَيْهِ فَجَبَذَ ثَوْبَهُ عَنْ مَنْكِبِهِ، وَأَخَذَ بِمَجَامِعِ ثيابه ﷺ، وأغلظ له، ثم قال: إِنَّكُمْ يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلَبِ مُطْلٌ، فَانْتَهَرَهُ عُمَرُ ، وَشَدَّدَ لَهُ فِي الْقَوْلِ، وَالنَّبِيُّ ﷺ يتبسم، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أنا، وهو، كنا إلى غير هذا منك أحوج يَا عُمَرُ، تَأْمُرُنِي بِحُسْنِ الْقَضَاءِ،وَتَأْمُرُهُ بِحُسْنِ التَّقَاضِي**» .

ثُمَّ قَالَ: «لَقَدْ بَقِيَ مِنْ أَجْلِهِ ثَلَاثٌ، وَأَمَرَ عُمَرَ يَقْضِيهِ مَالَهُ، وَيَزِيدَهُ عِشْرِينَ صاعًا لما روّعه، فكان سبب إسلامه .

وذلك أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: «مَا بَقِيَ مِنْ عَلَامَاتِ النبوة شيء إلا وقد عرفتها في وجه مُحَمَّدٍ إِلَّا اثْنَتَيْنِ لَمْ أُخْبَرْهُمَا: «**يَسْبِقُ حِلْمُهُ جَهْلُهُ، وَلَا تَزِيدُهُ شِدَّةُ الْجَهْلِ إِلَّا حِلْمًا فَاخْتَبَرْتُهُ بِهَذَا فَوَجَدْتُهُ كَمَا وُصِفَ**»

والحديث عن حلمه ﷺ وصبره، وعفوه عند المقدرة : أكثر من أن نأتي عليه، وحسبك ما ذكرناه، مما في الصحيح والمصنفات الثابتة، إلى ما بلغ متواترا مبلغ اليقين، من صبره على مقاساة قريش، وأذى الجاهلية، ومصابرة الشدائد الصعبة معهم، إلى أن أظفره الله عليهم وحكمه فيهم وهم لا يشكون في استئصال شأفتهم، وإبادة خضرائهم ، فما زاد على أن عفا وصفح: وقال: «**مَا تَظُنُّونَ أَنِّي فَاعِلٌ بِكُمْ**»؟ **فَقَالُوا: أَخٌ كَرِيمٌ..وَابْنُ أَخٍ كَرِيمٍ.**

فقال: «**أقول كما قال أخي يوسف: ﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ﴾ [يوسف:٩٢]**: «**إذهَبُوا فَأنتُمُ الطُّلَقَاءُ**»(٦٩) .

---

(٦٩) أخرجه البيهقي في «السنن الكبرى» : (١٨٧٣٩) .

وَقَالَ أَنَسٌ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- «**هَبَطَ ثَمَانُونَ رَجُلًا مِنْ التَّنْعِيمِ صَلَاةِ الصُّبْحِ لِيَقْتُلُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ فَأُخِذُوا فَأَعْتَقَهُمْ رَسُولُ اللهِ فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ﴾ [الفتح: ٢٤]**»(٧٠).

وقال لأبي سفيان وقد سيق إليه بعد أن جلب إليه الأحزاب وقتل عمه وأصحابه ومثل بهم فعفا عنه ولاطفه في القول «**وَيْحَك، يَا أَبَا سُفْيَانَ! أَلَمْ يَأْنِ لَك أَنْ تَعْلَمَ أَنْ لَا إلَهَ إلّا اللهُ؟ قَالَ: بِأَبِي أَنْتَ، مَا أَحْلَمَكَ وَأَكْرَمَك**»(٧١).

وكان رسول الله ﷺ أبعد الناس غضبًا وأسرعهم رضا ﷺ .

---

(٧٠) أخرجه الترمذي في «سننه»: (٣٢٦٤) .

(٧١) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير»: (٧٢٦٤) .

وصف جوده ﷺ

وأما الجود والكرم والسخاء والسماحة فكان ﷺ لا يوازى في هذه الأخلاق الكريمة ولا يبارى، بهذا وصفه كل من عرفه.

رَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أَنَّهُ قَالَ :«**مَاسُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ شَيْءٍ فَقَالَ لَا**»(٧٢) .

وقال ابن عباس كان ﷺ «**أَجْوَدَ النَّاسِ بِالْخَيْرِ ، وَكَانَ أَجْوَدَ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ ، حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ ، وَكَانَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ كُلَّ لَيْلَةٍ فِي رَمَضَانَ**»(٧٣).

وعن أنس - رضي الله عنه- قال : « **مَا سُئِلَ رَسُولُ الله ﷺعَلَى الْإِسْلَامِ شَيْئًا إِلَّا أَعْطَاهُ، قَالَ: فَجَاءَهُ رَجُلٌ فَأَعْطَاهُ غَنَمًا بَيْنَ جَبَلَيْنِ، فَرَجَعَ إِلَى قَوْمِهِ، فَقَالَ: يَا قَوْمِ أَسْلِمُوا، فَإِنَّ مُحَمَّدًا يُعْطِي عَطَاءً لَا يَخْشَى الْفَاقَةَ**»(٧٤).

وَأَعْطَى ﷺ غَيْرَ وَاحِدٍ مِائَةً مِنَ الْإِبِلِ.

وَأَعْطَى ﷺ صَفْوَانَ مِائَةً ثُمَّ مِائَةً ثُمَّ مِائَةً، وَهَذِهِ كَانَتْ خُلُقَهُ ﷺ قَبْلَ أَنْ يُبْعَثَ .

وَقَدْ قيل في حقه ﷺ: «إِنَّكَ تَحْمِلُ الْكَلَّ وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ».

وَأَعْطَى الْعَبَّاسَ مِنَ الذَّهَبِ مَا لَمْ يُطِقْ حَمْلَهُ.

وَحُمِلَ إليه تِسعُونَ أَلْفَ دِرْهَمٍ فَوُضِعَتْ عَلَى حَصِيرٍ ثُمَّ قَامَ إِلَيْهَا فَقَسَمَهَا فَمَا رَدَّ سَائِلًا حَتَّى فَرَغَ مِنْهَا.

وَجَاءَهُ رَجُلٌ فَسَأَلَهُ فَقَالَ مَا عندي شيء ولكن ابتع عَلَيَّ فَإِذَا جَاءَنَا شيء قَضَيْنَاهُ فَقَالَ لَهُ عُمَرُ مَا كَلَّفَكَ اللهُ مالا تَقْدِرُ عَلَيْهِ فَكَرِهَ النَّبِيُّ ﷺ ذَلِكَ فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ

---

(٧٢) أخرجه البخاري في «صحيحه» : (٦٠٣٤) .

(٧٣) أخرجه أحمد في «مسنده» : (٣٤٢٥).

(٧٤) أخرجه البخاري في «صحيحه» : (٢٣١٢) .

يَا رَسُولَ اللهَّ أَنْفِقْ وَلَا تخْشَ مِنْ ذِي العرش إِقْلالًا فَتبَسَّمَ ﷺ وَعُرِفَ الْبِشْرُ فِي وَجْهِهِ وَقَالَ بِهَذَا أُمِرْتُ.

وَذُكِرَ عَنْ مُعَوِّذِ بْنِ عَفْرَاءَ قَالَ : «**أتيت النبي ﷺ بِقِنَاعٍ مِنْ رُطَبٍ يُرِيدُ طَبَقًا وَأُجْرٍ زُغْبٍ يُرِيدُ قثاء فأعطاني ملء كَفِّهِ حُلِيًّا وَذَهَبًا**»(٧٥).

قَالَ أَنَسٌ: «**كَانَ رَسُولُ اللهَّ ﷺلَا يَدَّخِرُ شَيْئًا لِغَدٍ**»(٧٦).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ:« **أَتَى رَجُلٌ النَّبِيَّ ﷺ يَسْأَلُهُ فَاسْتَلَفَ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ نِصْفَ وَسْقٍ فَجَاءَ الرَّجُلُ يَتَقَاضَاهُ فَأَعْطاهُ وَسْقًا وَقَالَ : «نِصْفُهُ قَضَاءٌ وَنِصْفُهُ نَائِلٌ»** .

والأخبار بجوده وكرمه ﷺ كثيرة.

---

(٧٥) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» : (٦٩٤) .

(٧٦) أخرجه الترمذي في «سننه» : (٢٣٦٢)، والبيهقي في «شعب الإيمان» : (١٣٩١) .

وصف شجاعته ﷺ

وَأَمَّا الشَّجَاعَةُ وَالنَّجْدَةُ: فَالشَّجَاعَةُ فَضِيلَةُ قُوَّةِ الْغَضَبِ وَانْقِيَادِهَا لِلْعَقْلِ، وَالنَّجْدَةُ ثِقَةُ النَّفْسِ عِنْدَ اسْتِرْسَالِهَا إِلَى الْمَوْتِ حَيْثُ يُحْمَدُ فِعْلُهَا دُونَ خَوْفٍ، وَكَانَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْهُمَا بِالْمَكَانِ الَّذِي لَا يُجْهَلُ قَدْ حَضَرَ الْمَوَاقِفَ الصَّعْبَةَ وَفَرَّ الْكُمَاةُ وَالْأَبْطَالُ عَنْهُ غَيْرَ مَرَّةٍ وَهُوَ ثَابِتٌ لَا يَبْرَحُ وَمُقْبِلٌ لَا يُدْبِرُ وَلَا يَتَزَحْزَحُ، وما شُجَاعٌ إِلَّا وَقَدْ أُحْصِيَتْ لَهُ فَرَّةٌ وَحُفِظَتْ عَنْهُ جَوْلَةٌ سِوَاهُ ﷺ.

رَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- سَأَلَهُ رَجُلٌ فقال له : « أَفَرَرْتُمْ يَوْمَ حُنَيْنٍ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ نَعَمْ لَكِنْ رَسُولُ اللهِ ﷺ لَمْ يَفِرَّ ثُمَّ قَالَ لَقَدْ رَأَيْتُهُ ﷺ عَلَى بَغْلَتِهِ الْبَيْضَاءِ وَأَبُوسُفْيَانُ ابْنُ الْحَارِثِ آخِذًا لِجَامَهُ وَالنَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبَ وَزَادَ غَيْرُهُ أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَمَا رُؤِيَ يَوْمَئِذٍ أَحَدٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْهُ ﷺ»(٧٧).

وعن العباس -رضى الله عنه- **قال: «لما الْتَقَى الْمُسْلِمُونَ وَالْكُفَّارُ وَلَّى الْمُسْلِمُونَ مُدْبِرِينَ، فَطَفِقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُرْكِضُ بَغْلَتَهُ نَحْوَ الْكُفَّارِ وَأَنَا آخِذٌ بِلِجَامِهَا، أكفها إرادة أن لا تُسْرِعَ، وَأَبُو سُفْيَانَ آخِذٌ بِرِكَابِهِ، ثُمَّ نَادَى «يا للمسلمين»**(٧٨).

كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا غَضِبَ- وَلَا يَغْضَبُ إِلَّا للهِ- لَمْ يَقُمْ لِغَضَبِهِ شَيْءٌ.

قال ابن عمر - رضي الله عنهما- :« **مَا رَأَيْتُ أَشْجَعَ وَلَا أَنْجَدَ وَلَا أَجْوَدَ ولا أرضى مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ**».

وقال علي - رضى الله عنه- : «**إِنَّا كُنَّا إِذَا حَمِيَ الْبَأْسُ- وَيُرْوَى اشْتَدَّ الْبَأْسُ- وَاحْمَرَّتِ الحدق، اتقينا برسول الله ﷺ فَمَا يَكُونُ أَحَدٌ أَقْرَبَ إِلَى الْعَدُوِّ مِنْهُ. وَلَقَدْ رَأَيْتُنِي يَوْمَ بَدْرٍ وَنَحْنُ نَلُوذُ بِالنَّبِيِّ ﷺ، وَهُوَ أَقْرَبُنَا إِلَى الْعَدُوِّ، وَكَانَ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ يَوْمَئِذٍ بَأْسًا**»(٧٩).

---

(٧٧) أخرجه البخاري في «صحيحه»: (٤٣١٧) .

(٧٨) أخرجه مسلم في «صحيحه»: (١٧٧٥)، النسائي في «السنن الكبرى »: (٨٥٩٩).

(٧٩) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه»: (٣٢٦١٤) .

وقيل كان الشجاع هو الذي يقرب منه ﷺ إذا دنا العدو لقربه منه.

وعن أنس - رضي الله عنه- قال :« **كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ، وَأَجْوَدَ النَّاسِ، وَأَشْجَعَ النَّاسِ، لَقَدْ فَزِعَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ لَيْلَةً، فَانْطَلَقَ نَاسٌ قِبَلَ الصَّوْتِ فَتَلَقَّاهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ راجعا، قد سبقهم إلى الصوت، وقد استبرأ الْخَبَرَ عَلَى فَرَسٍ لِأَبِي طَلْحَةَ عُرْيٍ، وَالسَّيْفُ فِي عُنُقِهِ وَهُوَ يَقُولُ: «لَنْ تُرَاعُوا»**(٨٠).

(٨٠) أخرجه البخاري في «صحيحه»: (٢٨٢٠)، والبيهقي في «السنن الكبرى »: (١٨٥٦٠).

وصف حيائه ﷺ

وأما الحياء والإغضاء فكان النبي ﷺ أشد الناس حياء وأكثرهم عن العورات إغضاء، قال الله تعالى : ﴿إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِۦ مِنكُمْ ۖ وَٱللَّهُ لَا﴾ **[الأحزاب:٥٣]** .

وَرَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ :« **كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَشَدَّ حَيَاءً مِنْ الْعَذْرَاءِ فِي خِدْرِهَا وَ كَانَ إِذَا كَرِهَ شَيْئًا عَرَفْنَاهُ فِي وَجْهِهِ**»(٨١).

وكان ﷺ لطيف البشرة رقيق الظاهر لا يشافه أحدا بما يكرهه حياءا وكرم نفس.

وعن عائشة -رضي الله عنها- قالت : « **كَانَ النَّبِيُّ ﷺإِذَا بَلَغَهُ عَنِ الرَّجُلِ الشَّيْءُ لَمْ يَقُلْ: مَا بَالُ فُلَانٍ يَقُولُ؟ وَلَكِنْ يَقُولُ: مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَقُولُونَ كَذَا وَكَذَا** »(٨٢). **ينهي عنه ولا يسمي فاعله.**

وَرَوَى أَنَسٌ : « **أَنَّهُ دَخَلَ عَلَيْهِ ﷺ رَجُلٌ بِهِ أَثَرُ صُفْرَةٍ فَلَمْ يَقُلْ لَهُ شَيْئًا وَكَانَ ﷺ لَا يُوَاجِهُ أَحَدًا بِمَا يَكْرَهُ فَلَمَّا خَرَجَ قَالَ لَوْ قُلْتُمْ لَهُ يَغْسِلُ هَذَا**»(٨٣) .

وقالت عائشة -رضي الله عنها- :« **لَمْ يَكُنْ ﷺ فَاحِشًا وَلاَ مُتَفَحِّشًا وَلاَ صَخَّابًا فِي الأَسْوَاقِ، وَلاَ يَجْزِي بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَصْفَحُ**»(٨٤).

وروى عنه ﷺ أنه كان من حيائه لا يثبت بصره في وجه أحد وأنه كان يكني عما اضطره الكلام إليه مما يكره .

وعن عائشة - رضى الله عنها- قالت :« **مَا رَأَيْتُ فَرْجَ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَطُّ**»(٨٥).

---

(٨١) أخرجه البخاري في «صحيحه »: (٣٥٦٢).

(٨٢) أخرجه الترمذي في «سننه»: (٤٧٨٨)، والبيهقي في «شعب الإيمان »: (٧٧٤٥).

(٨٣) أخرجه أبو داود في «سننه»: (٤١٨٢).

(٨٤) أخرجه الحاكم في «مستدركه»: (٤٢٢٤)، والترمذي في «سننه»: (٢٠١٦).

(٨٥) أخرجه ابن ماجه في «سننه»: (٦٦٢)، وابن أبي شيبة في «مصنفه»: (١١٣٠).

وصف حسن عشرته وأدبه وخلقه ﷺ

وأما حُسنُ عِشرته وأدبه وبسط خلقه ﷺ مع أصناف الخلق، فقد انتشرت به الأخبار الصحيحة.

قال علي -رضي الله عنه- في وصفه ﷺ : «**كَانَ أَوْسَعَ النَّاسِ صَدْرًا وَأَصْدَقَ النَّاسِ لَهْجَةً وَأَلْيَنَهُمْ عَرِيكَةً وَأَكْرَمَهُمْ عِشْرَةً**».

رَوَى أَبُو دَاوُد عَنْ قَيْسِ بْنِ سَعِيدٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - قَالَ :«**زَارَنَا رَسُولُ الله ﷺ وَذَكَرَ قِصَّةً فِي ءاخِرِهَا فَلَمَّا أَرَادَ الِانْصِرَافَ قَرَّبَ لَهُ سَعْدٌ حِمَارَ أَوْطَأَ عَلَيْهِ بِقَطِيفَةٍ فَرَكِبَ رَسُولُ الله ﷺ ثُمَّ قَالَ سَعْدٌ يَا قَيْسُ اصْحَبْ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ قَيْسٌ فَقَالَ لِي رَسُولُ الله ﷺ ارْكَبْ فَأَبَيْتُ فَقَالَ إِمَّا أن تَرْكَبَ وَإِمَّا أَنْ تَنْصَرِفَ فَانْصَرَفْتُ**»(٨٦).

وكان ﷺيؤلفهم ولا ينفرهم و يكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم ويحذر الناس ويحترس منهم من غير أن يطوى عن أحد منهم بشره ولا خلقه(٨٧) و يتفقد أصحابه ويعطي كل جلسائه نصيبه لا يحسب جليسه أن أحدا أكرم عليه منه من جالسه أو قاربه لحاجة صابَرَهُ حتى يكون هو المنصرف عنه ومن سأله حاجة لم يرده إلا بها أو ميسور من القول وقد وسع الناس بسطه وخلقه فصار لهم أبا وصاروا عنده في الحق سواء.

بهذا وصفه ابن أبي هالة وكان دائم البشر سهل الخُلُق لين الجانب ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب ولا فحاش ولا عياب ولا مداح يتغافل عما لا يشتهي ولا يؤيس منه راجيه وقال الله تعالى ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ﴿١٥٩﴾ ﴾ **[آل عمران:١٥٩]**. الآية وقال تعالى

---

(٨٦) أخرجه أبو داود في «سننه »: (٥١٨٥) .

(٨٧) أي: كان ﷺ دائم البشاشة في وجوه كل من يحضر مجلسه ولا يمسك هذه البشاشة وهذا البشر عن أحد منهم.

﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴿٩٦﴾﴾ **[المؤمنون:٩٦]**، وكان يجيب من دعاه ويقبل الهدية ولو كانت كراعًا(٨٨) و يكافئ عليها.

قَالَ أَنَسٌ «**خَدَمْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَشْرَ سِنِينَ فَمَا قَالَ لِي أُفٍّ قَطُّ وَلَا قَالَ لِشَيءٍ صَنَعْتُهُ لِمَ صَنَعْتَهُ وَلَا لِشَيءٍ تَرَكتُهُ لِمَ تَرَكتَهُ**»(٨٩).

وَعَنْ عَائِشَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا- قَالَتْ : «**مَا كَانَ أَحَدُ أَحْسَنَ خُلُقًا مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ مَا دَعَاهُ أَحَدٌ مَنْ أَصْحَابِهِ وَلَا أَهْلُ بَيْتِهِ إِلَّا قَالَ لَبَّيْكَ**» .

وقال جرير بن عبد الله : « **مَا حَجَبَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ قَطُّ مُنْذُ أَسْلَمْتُ، وَلَا رَآنِي إِلَّا تَبَسَّمَ**» (٩٠).

وَكَانَ ﷺ يُمَازِحُ أَصْحَابَهُ وَيُخَالِطُهُمْ وَيُحَادِثُهُمْ وَيُدَاعِبُ صِبْيَانَهُمْ وَيُجْلِسُهُمْ فِي حِجْرِهِ وَيُجِيبُ دَعْوَةَ الْحُرِّ وَالْعَبْدِ وَالْأَمَةِ وَالْمِسْكِينِ وَيَعودُ الْمَرْضَى فِي أَقْصَى الْمَدِينَةِ وَيَقْبَلُ عُذْرَ الْمُعْتَذِرِ.

قَالَ أَنَسٌ مَا الْتَقَمَ أَحَدٌ أُذُنَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيُنَحِّي رَأْسَهُ حَتَّى يَكُونَ الرَّجُلُ هُوَ الَّذِي ينحى رَأْسَهُ وَمَا أَخَذَ أحَدٌ بِيَدِهِ فَيُرْسِلُ يَدَهُ حَتَّى يُرْسِلَهَا الآخِذُ ».

وَكَانَ ﷺ يَبْدَأُ مَنْ لَقِيَهُ بِالسَّلَامِ وَيَبْدَأُ أَصْحَابَهُ بِالْمُصَافَحَةِ لَمْ يُرَ قَطُّ مَادًّا رِجْلَيْهِ بَيْنَ أَصْحَابِهِ حَتَّى يُضَيِّقَ بِهِمَا عَلَى أَحَدٍ

وكان ﷺ يُكْرِمُ مِنْ يَدْخُلُ عَلَيْهِ وَرُبَّمَا بَسَطَ لَهُ ثَوْبَهُ وَيُؤْثِرُهُ بِالْوِسَادَةِ الَّتِي تَحْتَهُ وَيَعْزِمُ عَلَيْهِ فِي الْجُلُوسِ عَلَيْهَا إِنْ أَبَى وَيُكَنِّي أَصْحَابَهُ وَيَدْعُوهُمْ بِأَحَبِّ أَسْمَائِهِمْ تَكْرِمَةً لَهُمْ وَلَا يَقْطَعُ عَلَى أَحَدٍ حَدِيثَهُ حَتَّى يَتَجَوَّزَ فَيَقْطَعَهُ بِنَهْيٍ أَوْ قِيَامٍ(٩١).

---

(٨٨) كان ﷺ يقبل الهدية ممن يهاديه حتى ولو كانت مقدارا بسيطا جدا جبرًا لخاطر مهديها.

(٨٩) أخرجه البخاري في «صحيحه»: (٦٠٣٨).

(٩٠) أخرجه البخاري في «صحيحه»: (٣٠٣٥).

وَرُوِيَ أَنَّهُ كَانَ لَا يَجْلِسُ إِلَيْهِ أَحَدٌ وَهُوَ يُصَلِّي إِلَّا خَفَّفَ صَلاتَهُ وَسَأَلَهُ عَنْ حَاجَتِهِ فَإِذَا فَرَغَ عَادَ إِلَى صَلاتِهِ، وَكَانَ أَكْثَرَ النَّاسِ تَبَسُّمًا وَأَطْيَبَهمْ نَفْسًا مَا لَمْ يَنْزِلْ عَلَيْهِ قُرْآنٌ أَوْ يَعِظْ أَوْ يَخْطُبْ

قال عبد الله بن الحارث : « **مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَكْثَرَ تَبَسُّمًا مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ**»(٩٢).

وعن أنس « كَانَ النَّبِيُّ ﷺإِذَا صَلَّى الْغَدَاةَ جَاءَ خَدَمُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ بِآنِيَتِهِمْ فِيهَا الْمَاءُ ، فَمَا يُؤْتَى بِإِنَاءٍ إِلاَّ غَمَسَ يَدَهُ فِيهَا ، فَرُبَّمَا جَاؤُوهُ فِي الْغَدَاةِ الْبَارِدَةِ فَغَمَسَ يَدَهُ فِيهَا»(٩٣).

---

(٩١) كان ﷺ يستمع بإنصات لمن يتحدث إليه ولا يقطع هذا الحديث، فإذا تجوز المتكلم أي انتهى من حديثه أو قام بإيضاح الغرض من حديثه في هذه الحال يقاطعه رسول الله ﷺ بالإجابة التي تكون إما نهي عن شئ، أو أمر وحثٍ على شيء.

(٩٢) أخرجه الترمذي في «سننه »: (٣٦٤١).

(٩٣) أخرجه أحمد في «مسنده »: (٢٥٦٥٧).

وصف شفقته ورحمته بكل الخلق ﷺ

وأما الشفقة والرحمة بجميع الخلق فقد قال تعالى فيه صلي الله عليه وسلم ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة:١٢٨]، وقال تعالى ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء:١٠٧].

وقال بعضهم من فضله ﷺ أنَّ الله تعالى أعطاه اسمين من أسمائه، فقال تعالى﴿رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ **[التوبة:١٢٨]**.

ومن شفقته ﷺ على أمته أنه لما كذَّبه قومه أتاه جبريل - عليه السلام- فقال له:« إِنَّ اللهَّ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ، فَنَادَانِي مَلَكُ الجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، فَقَالَ، ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ، إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الأَخْشَبَيْنِ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللهُّ مِنْ أَصْلاَبِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللهَّ وَحْدَهُ، لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا»(٩٤).

وروى ابن المنكدر **أَنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: «إِنَّ اللهَّ تَعَالَى أَمَرَ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَالْجِبَالَ أَنْ تُطِيعَكَ فَقَالَ ﷺ: «أُؤَخِّرُ عَنْ أُمَّتِي لَعَلَّ اللهَّ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ»** .

وقالت عائشة - رضي الله عنها- :« **«مَا خُيِّرَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا أَخَذَ أَيْسَرَهُمَا»**(٩٥).

وقال ابن مسعود - رضى الله عنه-: **«كَانَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ يَتَخَوَّلُنَا بِالْمَوْعِظَةِ مَخَافَةَ السَّآمَةِ عَلَيْنَا»**(٩٦).

---

(٩٤) أخرجه البخاري في «صحيحه» : (٣٢٣١) .

(٩٥) أخرجه البخاري في «صحيحه» : (٣٥٦٠) .

(٩٦) أخرجه البخاري في «صحيحه» : (٧٠)، ومسلم في «صحيحه» : (٢٨٢١).

وعَنْ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: «أَنَّ يَهُودًا أَتَوُا النَّبِيَّ ﷺ فَقَالُوا: السَّامُ عَلَيْكُمْ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: عَلَيْكُمْ، وَلَعَنَكُمُ اللهُ، وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْكُمْ. قَالَ: «مَهْلًا يَا عَائِشَةُ، عَلَيْكِ بِالرِّفْقِ، وَإِيَّاكِ وَالعُنْفَ وَالفُحْشَ»(٩٧) .

(٩٧) أخرجه البخاري في «صحيحه» : (٦٠٣٠) .

وصف خلقه في الوفاء ﷺ ، وحسن العهد، وصلة الرحم

وأما خُلُقه ﷺ في الوفاء، وحسن العهد، وصلة الرحم:

فقد رَوى أبوداود عَنْ عَبْدِ اللهَّ بْنِ أَبِي الْحَمْسَاءِ، قَالَ: «**بَايَعْتُ النَّبِيَّ ﷺ بِبَيْعٍ قَبْلَ أَنْ يُبْعَثَ وَبَقِيَتْ لَهُ بَقِيَّةٌ فَوَعَدْتُهُ أَنْ آتِيَهُ بِهَا فِي مَكَانِهِ، فَنَسِيتُ، ثُمَّ ذَكَرْتُ بَعْدَ ثَلَاثٍ، فَجِئْتُ فَإِذَا هُوَ فِي مَكَانِهِ، فَقَالَ: «يَا فَتَى، لَقَدْ شَقَقْتَ عَلَيَّ، أَنَا هَاهُنَا مُنْذُ ثَلَاثٍ أَنْتَظِرُكَ**»(٩٨).

وعَنْ أَنَسٍ –رَضِيَ اللهُ عَنْهُ– قَالَ : «**كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا أُتِيَ بِشَيْءٍ يَقُولُ: «اذْهَبُوا بِهِ إِلَى فُلَانَةَ فَإِنَّهَا كَانَتْ صَدِيقَةَ خَدِيجَةَ، اذْهَبُوا بِهِ إِلَى فُلَانَةَ فَإِنَّهَا كَانَتْ تُحِبُّ خَدِيجَةَ**»(٩٩).

وعَنْ عَائِشَةَ – رضي الله عنها– قَالَتْ : «**مَا غِرْتُ عَلَى امْرَأَةٍ مَا غِرْتُ عَلَى خَدِيجَةَ ، لِمَا كُنْتُ أَسْمَعُهُ يَذْكُرُهَا،وَإِنْ كَانَ لَيَذْبَحُ الشَّاةَ ، ثُمَّ يُهْدِي فِي خَلاَئِلِهَا مِنْهَا**»(١٠٠).

وَوَصَفَهُ ﷺ بَعْضُهُمْ، فَقَالَ : «**كَانَ يَصِلُ ذَوِي رَحِمِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُؤْثِرَهُمْ عَلَى مَنْ هُوَ أَفْضَلُ مِنْهُمْ**».

وَقَدْ صَلَّى رسولُ الله ﷺ بِأُمَامَةَ ابْنَةِ ابْنَتِهِ زَيْنَبَ يَحْمِلُهَا عَلَى عَاتِقِهِ فَإِذَا سَجَدَ وَضَعَهَا وَإِذَا قَامَ حَمَلَهَا(١٠١).

وَعَنْ أَبِي قَتَادَةَ : «وَفَدَ وَفْدٌ لِلنَّجَاشِيِّ فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ يَخْدُمُهُمْ ، فَقَالَ لَهُ : أَصْحَابُهُ نَكْفِيكَ، فَقَالَ : «إِنَّهُمْ كَانُوا لِأَصْحَابِنَا مُكْرِمِينَ، وإني أحبُّ أن أُكَافِئَهُمْ»(١٠٢).

---

(٩٨) أخرجه أبو داود في «سننه» : (٤٩٩٦).

(٩٩)أخرجه الحاكم في «مستدركه» : (٧٣٣٩)، والطبراني في «المعجم الكبير» : (٢٠) .

(١٠٠) أخرجه البخاري في «صحيحه» : (٦٠٠٤) .

(١٠١) أخرجه البخاري في «صحيحه» : (٥١٦)، ومسلم في «صحيحه» : (٥٤٣) .

(١٠٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «مكارم الأخلاق» : (٣٦٧)، والبيهقي في «الدلائل» : (٢/ ٣٠٧)، وفي «الشعب» (٨٧٠٤).

وَلَمَّا جِيءَ بِأُخْتِهِ مِنَ الرَّضَاعَةِ الشَّيْمَاءِ فِي سَبَايَا هَوَازِنَ وَتَعَرَّفَتْ لَهُ بَسَطَ لَهَا رِدَاءَهُ وَقَالَ لَهَا إِنْ أَحْبَبْتِ أَقَمْتِ عِنْدِي مُكَرَّمَةً مُحَبَّبَةً أَوْ مَتَّعْتُكِ وَرَجَعْتِ إِلَى قَوْمِكِ، فَاخْتَارَتْ قَوْمَهَا فَمَتَّعَهَا.

وقال أبو الطفيل : «**رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَأَنَا غُلامٌ إِذْ أَقْبَلَتِ امْرَأَةٌ حَتَّى دَنَتْ مِنْهُ فَبَسَطَ لَهَا رِدَاءَهُ فَجَلَسَتْ عَلَيْهِ فَقُلْتُ مَنْ هَذِهِ قَالُوا أُمُّهُ الَّتِي أَرْضَعَتْهُ**» (١٠٣).

وعن عمرو بن السائب: «**أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ جَالِسًا يَوْمًا، فَأَقْبَلَ أَبُوهُ مِنَ الرَّضَاعَةِ، فَوَضَعَ لَهُ بَعْضَ ثَوْبِهِ، فَقَعَدَ عَلَيْهِ، ثُمَّ أَقْبَلَتْ أُمُّهُ فَوَضَعَ لَهَا شِقَّ ثَوْبِهِ مِنْ جَانِبِهِ الْآخَرِ فَجَلَسَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ أقبل أخوه من الرضاعة، فقام ﷺ فَأَجْلَسَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ**»(١٠٤).

وَكَانَ يَبْعَثُ إِلَى ثُوَيْبَةَ ، مَوْلَاةِ أَبِي لَهَبٍ مُرْضِعَتِهِ بِصِلَةٍ وَكِسْوَةٍ، فَلَمَّا مَاتَتْ سَأَلَ مَنْ بَقِيَ مِنْ قَرَابَتِهَا، فَقِيلَ: لَا أَحَدَ .

وَفِي حَدِيثِ خَدِيجَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهَا- أَنَّهَا قَالَتْ لَهُ ﷺ: «أَبْشِرْ فو الله لَا يَحْزُنُكَ اللهُ أَبَدًا إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ وَتَحْمِلُ الْكَلَّ وَتكْسِبُ الْمَعْدُومَ وَتَقْرِي الضَّيْفَ وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحُقِّ»(١٠٥).

وقد وصفه بمثل ما وصفته به خديجة -رضي الله عنها- ورقة بن نوفل.

---

(١٠٣) أخرجه الحاكم في «مستدركه»: (٦٥٩٥) .

(١٠٤) أخرجه أبوداود في «سننه»: (٥١٤٥) ، والبيهقي في «الدلائل»: (٥/ ٢٠٠).

(١٠٥) أخرجه البخاري في «صحيحه» : (٣)، ومسلم في «صحيحه» : (٢٥٢).

وصف تواضعه ﷺ

وأما تواضعه ﷺ على علو منصبه ورفعة رتبته، فكان أشد الناس تواضعًا وحسبك أنه خُيِّرَ بين أن يكون نبيًا ملكًا، أو نبيًا عبدًا فاختار أن يكون نبيًا عبدًا، فقال له إسرافيل – عليه السلام– عند ذلك :« فَإِنَّ اللهَّ قَدْ أَعْطَاكَ بِمَا تَوَاضَعْتَ لَهُ أَنَّكَ سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ،وَأَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ الْأَرْضُ عَنْهُ، وأول شافع.

رَوَى أَبُو دَاوُد عَنْ أَبِي أُمَامَةَ – رَضِيَ اللهُّ عَنْهُ– قَالَ : «**خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ الله ﷺ مُتَوَكِّئًا عَلَى عَصَاهُ فَقُمْنَا إِلَيْهِ فَقَالَ لَا تَقُومُوا كَمَا تَقُومُ الْأَعَاجِمُ يُعَظِّمُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا**»(١٠٦).

وقال ﷺ : «**إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ ، آكُلُ كَمَا يَأْكُلُ الْعَبْدُ ، وَأَجْلِسُ كَمَا يَجْلِسُ الْعَبْدُ**»(١٠٧).

وكان ﷺ يركب الحمار ويردف خلفه، ويعود المساكين و يجالس الفقراء و يجيب دعوة العبد، و يجلس بين يدي أصحابه مختلط بهم حيث انتهى به المجلس جلس.

وفي حديث – عمر رضي الله عنه– : «**لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ فَقُولُوا: عَبْدُ اللهَّ وَرَسُولُهُ**»(١٠٨).

وَعَنْ أَنَسٍ –رَضى اللهُ عَنْهُ– :« أَنَّ امْرَأَةً كَانَتْ فِي عَقِبِهِ ، جَاءَتْهُ فَقَالَتْ إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةً قَالَ اجْلِسِي يَا أُمَّ فُلَانٍ فِي أَيِّ طَرِيقٍ الْمَدِينَةِ شِئْتِ أَجْلِسْ إِلَيْكِ حَتَّى أَقْضِيَ حَاجَتَكِ قَالَ فَجَلَسْتُ فَجَلَسَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَيْهَا حَتَّى فَرَغَتْ مِنْ حَاجَتِهَا»(١٠٩).

وقال أنس: «**كَانَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ يَعُودُ المَرِيضَ، وَيَشْهَدُ الجَنَازَةَ، وَيَرْكَبُ الحِمَارَ، وَيُجِيبُ دَعْوَةَ العَبْدِ**» **وَكَانَ ﷺ يَوْمَ بَنِي قُرَيْظَةَ عَلَى حِمَارٍ مَخْطُومٍ بِحَبْلٍ مِنْ لِيفٍ، عَلَيْهِ إِكَافٌ**(١١٠) **لِيفٍ** (١١١).

---

(١٠٦) أخرجه أبوداود في «سننه» : (٥٢٣٠).

(١٠٧) أخرجه أحمد في «الزهد» : (٢٢).

(١٠٨) أخرجه البخاري في «صحيحه» : (٣٤٤٥).

(١٠٩) أخرجه مسلم في «صحيحه » : (٢٣٢٦)، وأبو داود في «سننه»:(٤٨١٨)

وقال أنس : «حَجَّ ﷺ عَلَى رَحْلٍ رَثٍّ، وَعَلَيْهِ قَطِيفَةٌ مَا تُسَاوِي أَرْبَعَةَ دراهم، فقال: «اللهم اجعله حجًا مبرورًا، لَا رِيَاءَ فِيهِ وَلَا سُمْعَةً، هَذَا وَقَدْ فُتِحَتْ عَلَيْهِ الْأَرْضُ وَأَهْدَى فِي حجته ذَلِكَ مِائَةَ بَدَنَةٍ».

وَلَمَّا فُتِحَتْ عَلَيْهِ ﷺ مَكَّةُ وَدَخَلَهَا بِجُيُوشِ الْمُسْلِمِينَ طَأْطَأَ عَلَى رَحْلِهِ رَأْسَهُ حَتَّى كَادَ يَمَسُّ قَادِمَتَهُ تَوَاضُعًا للهِ تَعَالَى

ومن تواضعه ﷺ قَوْلُهُ : «**لَا تُفَضِّلُونِي عَلَى يونس بن مَتَّى، وَلَا تُفَضِّلُوا بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ، وَلَا تُخَيِّرُونِي عَلَى مُوسَى، وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالشَّكِّ مِنْ إِبْرَاهِيمَ، وَلَوْ لَبِثْتُ مَا لَبِثَ يُوسُفُ فِي السِّجْنِ لَأَجَبْتُ الدَّاعِيَ**» .

وقال ﷺ للذي قال له : «يا خَيرَ البَرِيَّة»، ذاك إبراهيم.

كل ذلك من تواضعه ﷺ وإلا فقد ثبت أنه أفضل منهم أجمعين.

وَعَنْ عَائِشَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا-، وَالْحَسَنِ، وَأَبِي سَعِيدٍ، وَغَيْرِهِمْ - رِضْوَانُ الله عَلَيْهِمْ- فِي صِفَتِهِ ﷺ وَبَعْضُ مِنْهُمْ يَزِيدُ عَلَى بَعْضٍ: «**كَانَ ﷺ فِي بَيْتِهِ فِي مِهْنَةِ أَهْلِهِ يَخِيطُ ثَوْبَهُ وَيَحْلِبُ شَاتَهُ وَيَرْفَعُ ثَوْبِهِ وَ يَخْصِفُ نَعْلَهُ وَيَخْدُمُ نَفْسَهُ وَيَقُمُّ الْبَيْتَ وَيَعْقِلُ البَعِيرِ وَ يَعْلِفَ نَاضِحَهُ وَيَأْكُلُ مَعَ الْخَادِمِ وَيَعْجِنُ مَعَهُ وَ يَحْمِلُ بِضَاعَتَهُ مِنْ السُّوقِ**» (١١٢).

وعن أنس رضي الله عنه أنه ﷺ :«**كَانَتِ الْأَمَةُ مِنْ إِمَاءِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ لَتَأْخُذُ بِيَدِه ﷺ، فَيَدُورُ بِهَا فِي حَوَائِجِهَا حَتَّى تَفْرُغَ، ثُمَّ تَرْجِعُ**»(١١٣).

وَدَخَلَ عَلَيْهِ ﷺ رَجُلٌ فَأَصَابَتْهُ مِنْ هَيْبَتِهِ رِعْدَةٌ فَقَالَ لَهُ: «**هَوِّنْ عَلَيْكَ، فَإِنِّي لَسْتُ بِمَلِكٍ إِنَّمَا أَنَا ابْنُ امْرَأَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ، كَانَتْ تَأْكُلُ الْقَدِيدَ**» (١١٤).

---

(١١٠) الإكاف هو بردعة الحمار.

(١١١) أخرجه الترمذي في «سننه» : (١٠١٧) .

(١١٢) أخرجه ابن حبان في «صحيحه» : (٥٦٧٧)، والطبراني في «المعجم الأوسط» : (٦٤٨٠) .

(١١٣) أخرجه البخاري في «صحيحه» : (٦٠٧٢)، والأصبهاني في « أخلاق النبي وآدابه» : (٢٧) .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ : «**دَخَلْتُ السُّوقَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فَاشْتَرَى سَرَاوِيلَ وَقَالَ لِلْوَازِنِ زِنْ وَأَرْجِحْ وَذَكَرَ الْقِصَّةَ قَالَ فَوَثَبَ إِلَى يَدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ يُقَبِّلُهَا فَجَذَبَ يَدَهُ وَقَالَ هَذَا تَفْعَلُهُ الْأَعَاجِمُ بِمُلُوكِهِا وَلَسْت بِمَلِكٍ إِنَّمَا أَنَا رَجُلٌ مِنْكُمْ ثُمَّ أَخَذَ السَّرَاوِيلِ فَذَهَبْتُ لِأَحْمِلهُ فَقَالَ ﷺ صَاحِبُ الشَّيْءِ، أَحَقُّ بِشَيْئِهِ أَنْ يَحْمِلَهُ**»(١١٥).

---

(١١٤) سبق تخريجه .

(١١٥) أخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط» : (٦٥٩٤)، وأبو يعلى في «مسنده» : (٦١٦٢). .

وصف عدله وأمأنته وعفته وصدق لهجته ﷺ

وَأَمَّا عَدْلُهُ ﷺ، وَأَمَانَتُهُ، وَعِفَّتُهُ وَصِدْقُ لَهْجَتِهِ، فَكَانَ ﷺ آمَنَ النَّاسِ، وَأَعْدَلَ النَّاسِ، وَأَعَفَّ النَّاسِ، وَأَصْدَقَهُمْ لَهْجَةً مُنْذُ كَانَ، اعْتَرَفَ لَهُ بِذَلِكَ مُحَادُّوهُ(١١٦) وَعِدَاهُ، وَكَانَ ﷺ يُسَمَّى قَبْلَ نَبُوَّتِهِ «الْأَمِينَ» .

قال أبو إسحاق: «كَانَ يُسَمَّى الْأَمِينَ، بِمَا جَمَعَ اللهُ فِيهِ مِنَ الْأَخْلَاقِ الصَّالِحَةِ».

وقال تعالى ﴿مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾﴾ [التكوير:٢١]،أجمع أكثر المفسرين على أنه محمد ﷺ .

وَلَمَّا اخْتَلَفَتْ قُرَيْشٌ وَتَحَازَبَت عِنْدَ بِنَاءِ الْكَعْبَةِ فِيمَنْ يَضَعُ الْحَجَرَ حَكَّمُوا أَوَّلَ دَاخِلٍ عَلَيْهِمْ فَإِذَا بِالنَّبِيِّ ﷺ دَاخِلٌ وَذَلِكَ قَبْلَ نُبُوَّتِهِ فَقَالُوا: «هَذَا مُحَمَّدٌ هَذَا الْأَمِينُ قَدْ رَضِينَا بِهِ» (١١٧).

وَعَنْ الربيعِ بْنِ خَيْثَمٍ قَالَ : «**كَانَ يُتَحَاكَمُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي الْجَاهِلِيَّةِ قَبْلَ الْإِسْلَامِ**» (١١٨).

وَقَالَ ﷺ « وَاللهِ إِنِّي لأَمِينٌ فِي السَّمَاءِ أَمِينٌ فِي الْأَرْضِ »(١١٩).

وَرَوَى التِّرْمِذِيُّ عَنْ عَلِيٍّ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ– :« نَّ أَبَا جَهْلٍ، قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: إِنَّا لاَ نُكَذِّبُكَ، وَلَكِنْ نُكَذِّبُ بِمَا جِئْتَ بِهِ، فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾﴾ **[الأنعام:٣٣]** (١٢٠).

وَرَوَى غَيْرُهُ : «**لَا نُكَذِّبُكَ وَمَا أَنْتَ فِينَا بِمُكَذَّبٍ**».

---

(١١٦) أي : مخالفوه و المقصود من يقومون بالجدال والخاصم والعداء وإرادة السوء والشر.

(١١٧) أخرجه الحاكم في «مستدركه»: (١٦٨٣) .

(١١٨) أخرجه أحمد في «الزهد» : (١٩٨١) .

(١١٩) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير » : (٩٨٩) .

(١٢٠) أخرجه الترمذي في «سننه» : (٣٠٦٤)، والحاكم في «مستدركه» : (٣٢٣٠).

وقيل : إنَّ الأخنس بن شريق لَقِيَ أَبَا جَهْلٍ يَوْمَ بَدْرٍ فَقَالَ لَهُ: «**يَا أَبَا الْحَكَمِ لَيْسَ هُنَا غَيْرِي وَغَيْرُكَ يَسْمَعُ كَلامَنَا، تُخْبِرُنِي عَنْ مُحَمَّدٍ صَادِقٌ هُوَ أَمْ كَاذِبٌ؟ فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ: وَاللهِ إِنَّ مُحَمَّدًا لَصَادِقٌ وَمَا كَذَبَ مُحَمَّدٌ قَطُّ**».

وَسَأَلَ هِرَقْلُ عَنْهُ أَبَا سُفْيَانَ ، فَقَالَ :« هَلْ كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ؟. قَالَ لَا ».

وَقَالَ النَضْرُ بْنُ الْحَارِثِ لِقُرَيْشٍ: «**قَدْ كَانَ مُحَمَّدٌ فِيكُمْ غُلامًا حَدَثًا أَرْضَاكُمْ فِيكُمْ وَأَصْدَقُكُمْ حَدِيثًا وَأَعْظَمُكُمْ أَمَانَةً حَتَّى إِذَا رَأَيْتُمْ فِي صُدْغَيْهِ الشَّيْبَ، وَجَاءَكُمْ بِمَا جَاءَكُمْ بِهِ قُلْتُمْ سَاحِرٌ، لَا وَاللهِ مَا هُوَ بِسَاحِرٍ**».

وفي الحديث عنه ﷺ : «**وَمَا مَسَّتْ يَدُ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَدَ امْرَأَةٍ إِلَّا امْرَأَةً يَمْلِكُهَا**»(١٢١).

وفي حديث علي – رضي الله عنه– في وصفه ﷺ «**أَصدَقُ النَّاسِ لهجَةً**».

وقال في الصحيح : «**وَيْلَكَ وَمَنْ يَعْدِلُ إِنْ لَمْ أَعْدِلْ؟ قَدْ خِبْتُ وَخَسِرْتُ إِنْ لَمْ أَعْدِلْ**»(١٢٢).

وقالت عائشة –رضي الله عنها– : «**ما خُيِّرَ رَسولُ اللهِ ﷺ بيْنَ أمْرَيْنِ قَطُّ إلَّا أخَذَ أيْسَرَهُمَا، ما لَمْ يَكُنْ إثْمًا، فإنْ كانَ إثْمًا كانَ أبْعَدَ النَّاسِ منه**»(١٢٣).

وقال أبو العباس المبرد: قَسَّمَ كِسْرَى أَيَّامَهُ. فَقَالَ:« **يَصْلُحُ يَوْمُ الرِّيحِ لِلنَّوْمِ، وَيَوْمُ الْغَيْمِ لِلصَّيْدِ، وَيَوْمُ الْمَطَرِ لِلشُّرْبِ وَاللَّهْوِ، وَيَوْمُ الشَّمْسِ لِلْحَوَائِجِ**».

قَالَ ابْنُ خَالَوَيْهِ: «مَا كَانَ أَعْرَفَهُمْ بِسِيَاسَةِ دُنْيَاهُمْ »،﴿ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ۝٧﴾ **[الروم:٧]**

---

(١٢١) أخرجه البخاري في «صحيحه » : (٧٢١٤)، ومسلم في «صحيحه » : (١٨٦٦).

(١٢٢) أخرجه البخاري في «صحيحه » : (٣٦١٠)، ومسلم في «صحيحه » : (١٠٦٤).

(١٢٣) أخرجه البخاري في «صحيحه » : (٣٦١٠).

وَلَكِنَّ ﷺ جَزَّأَ نهاره ثلاثة أجزاء، جزء لله، وجزء لأهله، وجزء لِنَفْسِهِ.

ثُمَّ جَزَّأَ جُزْأَهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ، فَكَانَ يَسْتَعِينُ بِالْخَاصَّةِ عَلَى الْعَامَّةِ وَيَقُولُ : «**أَبْلِغُوا حَاجَةَ مَنْ لَا يَسْتَطِيعُ إِبْلَاغِي، فَإِنَّهُ مَنْ أَبْلَغَ حَاجَةَ مَنْ لَا يَسْتَطِيعُ إِبْلَاغَهَا أَمَّنَهُ اللهُ يَوْمَ الْفَزَعِ الْأَكْبَرِ**»(١٢٤)

و عن الحسن: «**كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لَا يَأْخُذُ أَحَدًا بِقَرَفِ أحدٍ، وَلَا يُصَدِّقُ أَحَدًا عَلَى أَحَدٍ**»(١٢٥).

عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ– قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: « **مَا هَمَمْتُ بِمَا كَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ يَهُمُّونَ بِهِ إِلَّا مَرَّتَيْنِ مِنَ الدَّهْرِ كِلَاهُمَا يَعْصِمُنِي اللهُ تَعَالَى مِنْهُمَا. قُلْتُ لَيْلَةً لِفَتًى كَانَ مَعِي مِنْ قُرَيْشٍ فِي أَعْلَى مَكَّةَ فِي أغنامٍ لِأَهْلِهَا تَرْعَى: أَبْصِرْ لِي غَنَمِي حَتَّى أَسْمُرَ هَذِهِ اللَّيْلَةَ بِمَكَّةَ كَمَا تَسْمُرُ الْفِتْيَانُ قَالَ: نَعَمْ فَخَرَجْتُ فَلَمَّا جِئْتُ أَدْنَى دَارٍ مِنْ دُورِ مَكَّةَ سَمِعْتُ غَنَاءً وَصَوْتَ دُفُوفٍ وَزَمْرٍ فَقُلْتُ: مَا هَذَا؟ قَالُوا: فُلَانٌ تَزَوَّجَ فُلَانَةَ لِرَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ تَزَوَّجَ امْرَأَةً فَلَهَوْتُ بِذَلِكَ الْغِنَاءِ وَالصَّوْتِ حَتَّى غَلَبَتْنِي عَيْنِي فَنِمْتُ فَمَا أَيْقَظَنِي إِلَّا مَسُّ الشَّمْسِ فَرَجَعْتُ فَسَمِعْتُ مِثْلَ ذَلِكَ فَقِيلَ لِي مِثْلَ مَا قِيلَ لِي فَلَهَوْتُ بِمَا سَمِعْتُ وَغَلَبَتْنِي عَيْنِي فَمَا أَيْقَظَنِي إِلَّا مَسُّ الشَّمْسِ ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى صَاحِبِي فَقَالَ: مَا فَعَلْتَ؟ فَقُلْتُ: مَا فَعَلْتُ شَيْئًا»،**

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «فَوَاللهِ مَا هَمَمْتُ بَعْدَهَا أَبَدًا بِسُوءٍ مِمَّا يَعْمَلُ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ حَتَّى أَكْرَمَنِي اللهُ تَعَالَى بِنُبُوَّتِهِ» (١٢٦) .

---

(١٢٤) أخرجه الترمذي في «الشمائل» : (٣٣٧)، والبزار في «مسنده» : (٤١٢١).

(١٢٥) أخرجه البيهقي في «سننه الكبرى» : (١٦٦٧٦)، وأبو داود في «المراسيل» : (٥١٤).

(١٢٦) أخرجه الحاكم في «مستدركه» : (٧٦١٩)، وابن حبان في «صحيحه» : (٦٢٧٢).

وصف وقاره ومروأته وحسن هديه ﷺ

روي أبو داود عن خارجة بن زيد -رضى الله عنه- أنه قال:«**كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَوْقَرَ النَّاسِ فِي مَجْلِسِهِ لَا يَكَادُ يُخْرِجُ شَيْئًا مِنْ أَطْرَافِهِ**»(١٢٧).

وقال أبوسعيد الخدري- رضي الله عنه- :«**كان النَّبِيُّ ﷺ إِذَا جَلَسَ احْتَبَى بِيَدِهِ**»(١٢٨).

وكذلك كان أكثر جلوسه ﷺ محتبيًا.

عَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْحَارِثِيِّ - رضي الله عنه- «**أَنَّهُ ﷺ تَرَبَّعَ وَرُبَّمَا جَلَسَ القُرْفُصَاءَ**»(١٢٩).

وَكَانَ ﷺ كَثِيرَ السُّكُوتِ، لَا يَتَكَلَّمُ فِي غَيْرِ حَاجَّةٍ، يُعْرِضُ عَمَّنْ تَكَلَّمَ بِغَيْرِ جَمِيلٍ، وَكَانَ ضَحِكُهُ تَبَسُّمًا وَكَلَامُهُ فَصْلًا لَا فَضُولَ وَلَا تَقْصِيرَ.

وَكَانَ ضَحِكُ أَصْحَابِهِ عِنْدَهُ التَّبَسُّمَ تَوْقِيرًا لَهُ وَاقْتِدَاءً بِهِ ﷺ جَلِسُهُ مَجْلِسُ حِلْمٍ وَحَيَاءٍ وَخَيْرٍ وَأَمَانَةٍ لَا تُرْفَعُ فِيهِ الْأَصْواتُ وَلَا تُؤْبَنُ فِيهِ الْحُرُمُ، إِذَا تَكَلَّمَ أطرق جلساؤه كأنما على رؤسهم الطَّيْرُ.

وَفِي صِفَتِهِ ﷺ: «**يَخْطُو تَكَفُّؤًا وَيَمْشِي هَوْنًا**[١٣٠] **كَأَنَّمَا يَنْحَطُّ مِنْ صَبَبٍ**» .

وَفِي الْحَدِيثِ الآخَرِ:« **إِذَا مَشَى مَشَى مُجْتَمِعًا يُعْرَفُ فِي مِشْيَتِهِ أَنَّهُ غَيْرُ غَرِضٍ وَلَا وَكِلٍ**»(١٣١)،أَيْ : غَيْرُ ضَجِرٍ وَلَا كَسْلَانَ .

وقال عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه - : «**إِنَّ أَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ**»(١٣٢).

---

(١٢٧) أخرجه أبو داود في «المراسيل» : (٥٠٥).

(١٢٨) أخرجه أبو داود في «سننه» : (٤٨٤٦)، والبيهقي في «سننه الكبرى» : (٥٩١٦).

(١٢٩) أخرجه الأصبهاني في « أخلاق النبي وآدابه »: (٧٨٣) .

(١٣٠) أي كان في مشيته ﷺ إسراعة وهدوء وانتظام.

(١٣١) أخرجه أحمد في «مسنده» : (٣٠٣٣).

وعن جابر بن عبد الله -رضي الله عنهما - : «**كَانَ فِي كَلَامِ رَسُولِ اللهِ ﷺ تَرْتِيلٌ**[١٣٣]، **أَوْ تَرْسِيلٌ**»(١٣٤).

وقال ابن أبي هالة -رضى الله عنه- :«**كَانَ سُكُوتُ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَلَى أَرْبَعَ: عَلَى الْحِلْمِ وَالْحَذَرِ**[١٣٥] **وَالتَّقْدِيرِ، وَالتَّفَكُّرِ**»(١٣٦).

وقالت عائشة - رضي الله عنها- : «**كَانَ ﷺ يُحَدِّثُ حَدِيثًا لَوْ عَدَّهُ العَادُّ لَأَحْصَاهُ**»(١٣٧).

وكان ﷺ يحب الطِيبَ والرائحة الحسنة ويستعملها كثيرًا ويحض عليها، ويقول : « **حُبِّبَ إِلَيَّ مِنْ دُنْيَاكُمُ النِّسَاءُ، وَالطِّيبُ، وَجُعِلَ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ**»(١٣٨).

وَمِنْ مُرُوءَتِهِ ﷺ :نَهْيُهُ عَنِ النَّفْخِ فِي الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، وَالْأَمْرُ بِالْأَكْلِ مِمَّا يَلِي، وَالْأَمْرُ بِالسِّوَاكِ وَإِنْقَاءُ البَرَاجِمِ وَالرَّوَاجِبِ(١٣٩)، وَاسْتِعْمَالُ خِصَالِ الْفِطْرَةِ.

---

(١٣٢) أخرجه البزار في «مسنده» : (٢٠٧٦).

(١٣٣) أي في كلامه صلى الله عليه وسلم وقرائته هدوء وانتظام وترتيب أفكار.

(١٣٤) أخرجه أبو داود في «سننه» : (٤٨٣٨)، والبيهقي في «سننه الكبرى» : (٥٧٦٠).

(١٣٥) أي كان سكوت رسول الله ﷺ في حالات مثل هذه الحالات الأربع :الحلم فكان يحلم على من يسيئ إليه ويتمثل في فعله ﷺ للمعروف وتركه للمنكر لتقتدي به الأمة والتقدير يتمثل في المعاملة بسواء للناس والحكم بينهم، وأما التفكر ففي خلق الله وملكوت السماوات والأرض.

(١٣٦) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» : (٤١٤)، والبيهقي في « شعب الإيمان »: (١٣٦٢).

(١٣٧) أخرجه البخاري في «صحيحه » : (٣٥٦٧)، ومسلم في «صحيحه » : (٢٤٩٣).

(١٣٨) أخرجه الحاكم في «مستدركه» : (٢٦٧٦)، والنسائي في «السنن الصغرى» : (٣٩٣٩).

(١٣٩) البراجم بفتح الجيم جمع برجمة بضم الباء والجيم وهى مفاصل الأصابع التى بين الأشاجع والرواجب، وهى رؤوس السلاميات من ظهر الكف إذا قبض القابض كفه نشرت وارتفعت، والرواجب: بكسر الجيم وبعدها موحدة جمع راجبة وهى مفاصل الأصابع التى تلى الأنامل، ثم تليها الأشاجع اللاتى تلين الكف، والسلاميات جمع سلامى وهى عظام الأصابع.

وصف زهده ﷺ

وَأَمَّا زُهْدُهُ ﷺ فحَسْبُكَ مِنْ تَقَلُّلِهِ مِنْهَا، وَإِعْرَاضِهِ عَنْ زَهْرَتِهَا، وَقَدْ سِيقَتْ إِلَيْهِ بِحَذَافِيرِهَا، وَتَرَادَفَتْ عَلَيْهِ فُتُوحُهَا إِلَى أَنْ انتقل ﷺ إلى الرفيقِ الأعلى وَدِرْعهُ مَرْهُونَةٌ عِنْدَ يَهُودِيٍّ فِي نَفَقَةِ عِيَالِهِ، وَهُوَ يَدْعُو وَيَقُولُ: «**اللَّهُمَّ اجْعَلْ رِزْقَ آلِ مُحَمَّدٍ قُوتًا**»(١٤٠).

روى ابن أبي شيبة عن عائشة – رضى الله عنها– قالت :« **مَا شَبِعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ تِبَاعًا مِنْ خُبْزِ بُرٍّ حَتَّى مَضَى لِسَبِيلِهِ** »(١٤١).

وفي روَايَةٍ أُخْرَى: «**مِنْ خُبْزِ شَعِيرٍ يَوْمَيْنِ مُتَوَالِيَيْنِ وَلَوْ شَاءَ لأَعْطَاهُ اللهُ مَا لا يَخْطُرُ بِبَالٍ**»(١٤٢) .

وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى: «**مَا شَبِعَ آلُ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ خُبْزِ بُرٍّ حَتَّى لَقِىَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ**»(١٤٣).

وَقَالَتْ عَائِشَةُ –رَضِيَ اللهُ عَنْهَا–: «**مَا تَرَكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ دِينَارًا وَلا دِرْهَمًا وَلَا شَاةً وَلَا بَعِيرًا**»(١٤٤).

أو في حديث عمرو بن الحارث: «**مَا تَرَكَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَّا سِلاَحَهُ، وَبَغْلَةً بَيْضَاءَ، وَأَرْضًا جَعَلَهَا صَدَقَةً**»(١٤٥) .

وقالت عائشة – رضي الله عنها– : «**تُوُفِّيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَمَا فِي بَيْتِي مِنْ شَيْءٍ يَأْكُلُهُ ذُو كَبِدٍ، إِلَّا شَطْرُ شَعِيرٍ فِي رَفٍّ لِي، فَأَكَلْتُ مِنْهُ حَتَّى طَالَ عَلَيَّ، فَكِلْتُهُ فَفَنِيَ**»(١٤٦).

---

(١٤٠) أخرجه البخاري في «صحيحه » : (٦٤٦٠)، ومسلم في «صحيحه » : (١٠٥٥) واللفظ له.

(١٤١) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» : (٣٥٥٤٣).

(١٤٢) أخرجه أحمد في «مسنده» : (٢٤٦٦٥)، وأبو داود الطيالسي في «مسنده »: (١٤٩٢) .

(١٤٣) أخرجه البخاري في «صحيحه » : (٦٤٥٤)، ومسلم في «صحيحه » : (٢٩٧٠) .

(١٤٤) أخرجه مسلم في «صحيحه » : (١٦٣٥).

(١٤٥) أخرجه البخاري في «صحيحه»: (٢٩١٢) .

وقال ﷺ: «عَرَضَ عَلَيَّ رَبِّي لِيَجْعَلَ لِي بَطْحَاءَ مَكَّةَ ذَهَبًا. فَقُلْتُ: لَا. يَا رَبِّ وَلَكِنْ أَشْبَعُ يَوْمًا وَأَجُوعُ يَوْمًا، أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ، فَإِذَا جُعْتُ تَضَرَّعْتُ إِلَيْكَ وَذَكَرْتُكَ، وَإِذَا شَبِعْتُ حَمِدْتُكَ وَشَكَرْتُكَ»(١٤٧).

وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ:« **أَنَّ جِبْرِيلَ نَزَلَ عَلَيْهِ فَقَالَ لَهُ: إِنَّ اللهَّ تَعَالَى يُقْرِئُكَ السَّلَامَ وَيَقُولُ لَكَ: أَتُحِبُّ أَنْ أَجْعَلَ هَذِهِ الْجِبَالَ ذَهَبًا، وَتَكُونَ مَعَكَ حَيْثُمَا كُنْتَ. فَأَطْرَقَ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ ﷺ:«يَا جِبْرِيلُ. إِنَّ الدُّنْيَا دَارُ مَنْ لَا دَارَ لَهُ. وَمَالُ مَنْ لَا مَالَ لَهُ، قَدْ يَجْمَعُهَا مَنْ لَا عَقْلَ لَهُ، فَقَالَ لَهُ جِبْرِيلُ: ثَبَّتَكَ اللهُ يَا مُحَمَّدُ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ**».

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، قَالَتْ: «**كَانَ يَأْتِي عَلَيْنَا الشَّهْرُ مَا نُوقِدُ فِيهِ نَارًا، إِنَّمَا هُوَ التَّمْرُ وَالمَاءُ، إِلَّا أَنْ نُؤْتَى بِاللُّحَيْمِ**»(١٤٨) .

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: «**كَانَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ يَبِيتُ اللَّيَالِي المُتَتَابِعَةَ طَاوِيًا وَأَهْلُهُ لَا يَجِدُونَ عَشَاءً وَكَانَ أَكْثَرُ خُبْزِهِمْ خُبْزَ الشَّعِيرِ**»(١٤٩).

وعن أنس –رضى الله عنه– قال :«**مَا أَكَلَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى خِوَانٍ، وَلاَ فِي سُكُرُجَةٍ**[١٥٠]، **وَلاَ خُبِزَ لَهُ مُرَقَّقٌ**» (١٥١) .

وعن عائشة –رضى الله عنها– : «**كَانَ فِرَاشُ رَسُولِ اللهَّ ﷺ مِنْ أَدَمٍ، وَحَشْوُهُ مِنْ لِيفٍ**»(١٥٢).

---

(١٤٦) أخرجه البخاري في «صحيحه»: (٣٠٩٧)، ومسلم في «صحيحه » : (٢٩٧٣) .

(١٤٧) أخرجه أحمد في «مسنده»: (٢٢١٩٠)، والطبراني في «المعجم الكبير» : (٧٨٣٥).

(١٤٨) أخرجه البخاري في «صحيحه» : (٦٤٥٨).

(١٤٩) أخرجه الترمذي في «سننه»: (٢٣٦٠)، وابن ماجه في «سننه»: (٣٣٤٧).

(١٥٠) أي: أن رسول الله ﷺ كان لا يأكل على الطاولات ولا في الأطباق المرتفعة.

(١٥١) أخرجه البخاري في «صحيحه»: (٥٤١٥).

(١٥٢) أخرجه البخاري في «صحيحه»: (٦٤٥٦).

وَسُئِلَتْ حَفْصَةُ ، مَا كَانَ فِرَاشُ رَسُولِ اللهَّ ﷺفِي بَيْتِكِ ؟ قَالَتْ : «مِسْحًا نَثْنِيهِ ثَنِيَّتَيْنِ فَيَنَامُ عَلَيْهِ ، فَلَمَّا كَانَ ذَاتَ لَيْلَةٍ قُلْتُ : لَوْ ثَنَيْتُهُ أَرْبَعَ ثَنْيَاتٍ لَكَانَ أَوْطَأَ لَهُ فَثَنَيْنَاهُ لَهُ بِأَرْبَعِ ثَنْيَاتٍ ، فَلَمَّا أَصْبَحَ قَالَ : مَا فَرَشْتُمْ لِيَ اللَّيْلَةَ قَالَتْ : قُلْنَا : هُوَ فِرَاشُكَ إِلَّا أَنَّا ثَنَيْنَاهُ بِأَرْبَعِ ثَنْيَاتٍ ، قُلْنَا : هُوَ أَوْطَأُ لَكَ قَالَ : رُدُّوهُ لِحَالَتِهِ الْأُولَى ، فَإِنَّهُ مَنَعَتْنِي وَطَاءَتُهُ صَلاَتِيَ اللَّيْلَةَ»(١٥٣).

وَكَانَﷺ يَنَامُ أَحْيَانًا عَلَى سَرِيرٍ مَرْمُولٍ بِشَرِيطٍ حَتَّى يُؤَثِّرَ فِي جَنْبِهِ[١٥٤] .

وَعَنْ عَائِشَةَ -رَضِيَ اللهَّ عَنْهَا- قَالَتْ:« لم يمتلى جَوْفُ النَّبِيِّ ﷺ شِبَعًا قَطُّ وَلَمْ يَبُثَّ شَكْوَى إِلَى أَحَدٍ وَكَانَتَ الْفَاقَةُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ الْغِنَى وَإِنْ كَانَ لَيَظَلُّ جائعا ليلتوى طُولَ لَيْلَتِهِ مِنَ الْجُوعِ فَلَا يَمْنَعُهُ صِيَامَ يَوْمِهِ وَلَوْ شَاءَ سَأَلَ رَبَّهُ جميع كنور الْأَرْضِ وَثِمَارِهَا وَرَغَدَ عَيْشِهَا وَلَقَدْ كُنْتُ أَبْكِي لَهُ رَحْمَةً مِمَّا أَرَى بِهِ وَأَمْسَحُ بِيَدِي عَلَى بَطْنِهِ مِمَّا بِهِ مِنَ الْجُوعِ وَأَقُولُ نَفْسِي لَكَ الْفِدَاءُ لَوْ تَبَلَّغْتَ مِنَ الدُّنْيَا بِمَا يَقُوتُكَ فَيَقُولُ : «يا عائشةمالي وَلِلدُّنْيَا، إِخْوَانِي مِنْ أُولِي الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ صَبَرُوا عَلَى مَا هُوَ أَشَدُّ مِنْ هَذَا، فَمَضَوْا عَلَى حَالِهِمْ، فَقَدِمُوا عَلَى رَبِّهِمْ، فَأَكْرَمَ مَآبَهُمْ وَأَجْزَلَ ثَوَابَهُمْ، فَأَجِدُنِي أَسْتَحْيِي إِنْ تَرَفَّهْتُ فِي مَعِيشَتِي أَنْ يُقَصِّرَ بِي غَدًا دُونَهُمْ. وَمَا مِنْ شَيْءٍ هُوَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ اللُّحُوقِ بِإِخْوَانِي وَأَخِلَّائِي»(١٥٥).

---

(١٥٣) أخرجه الترمذي في «الشمائل» : (٣٢٩).

(١٥٤) أي : كان رسول الله ﷺ ينام على سرير مخيط بالسعف مما يجعله خشنا.

(١٥٥) أخرجه الأصبهاني في « أخلاق النبي وآدابه » : (٤٤٨) .

وصف خوفه من ربه وشدة عبادته له ﷺ

ما خوفه ﷺ من ربه وطاعته له وشدة عبادته فعلى قدر علمه ﷺ بربه - عز وجل- ولذلك قال فيما رواه البخاري عن أبي هريرة -رضي الله عنه- « **لَوْ تَعْلَمُونَ ما أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا، ولَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا**»(١٥٦).

زاد الترمذي عن أبي ذر أنه ﷺ قال : «**إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ، وَأَسْمَعُ مَا لَا تَسْمَعُونَ أَطَّتِ السَّمَاءُ، وَحُقَّ لَهَا أَنْ تَئِطَّ مَا فِيهَا مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابِعَ إِلَّا وَمَلَكٌ وَاضِعٌ جَبْهَتَهُ سَاجِدًا للهِ، وَاللهِ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا، وَمَا تَلَذَّذْتُمْ بِالنِّسَاءِ عَلَى الفُرُشِ وَلَخَرَجْتُمْ إِلَى الصُّعُدَاتِ تَجْأَرُونَ إِلَى اللهِ، لَوَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ شَجَرَةً تُعْضَدُ**»(١٥٧).

وفي حديث المغيرة - رضى الله عنه- قال : « **كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُصَلِّي حَتَّى تَرِمَ، أَوْ تَنْتَفِخَ قَدَمَاهُ، فَيُقَالُ لَهُ، فَيَقُولُ: «أَفَلاَ أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا»**(١٥٨).

وقالت عائشة - رضي الله عنها- : « **كَانَ عَمَلُهُ ﷺ دِيمَةً، وَأَيُّكُمْ يُطِيقُ مَا كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُطِيقُ**»(١٥٩).

وعن أنس – رضي الله عنه- قال « «**كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُفْطِرُ مِنَ الشَّهْرِ حَتَّى نَظُنَّ أَنْ لاَ يَصُومَ مِنْهُ، وَيَصُومُ حَتَّى نَظُنَّ أَنْ لاَ يُفْطِرَ مِنْهُ شَيْئًا، وَكَانَ لاَ تَشَاءُ أَنْ تَرَاهُ مِنَ اللَّيْلِ مُصَلِّيًا إِلَّا رَأَيْتَهُ، وَلاَ نَائِمًا إِلَّا رَأَيْتَهُ**» (١٦٠).

وقال عوف بن مالك - رضي الله عنه- :« **قُمْتُ مَعَ رَسُولِ الله ﷺلَيْلَةً فَبَدَأَ فَاسْتَاكَ، ثُمَّ تَوَضَّأَ، ثُمَّ قَامَ فَصَلَّى فَقُمْتُ مَعَهُ فَبَدَأَ، فَاسْتَفْتَحَ مِنَ الْبَقَرَةِ لَا يَمُرُّ بِآيَةِ رَحْمَةٍ إِلَّا وَقَفَ فَسَأَلَ،**

---

(١٥٦) أخرجه البخاري في «صحيحه»: (٦٤٨٥).

(١٥٧) أخرجه الترمذي في «سننه»: (٢٣١٢).

(١٥٨) أخرجه البخاري في «صحيحه»: (٦٤٧١).

(١٥٩) أخرجه البخاري في «صحيحه»: (١٩٨٧).

(١٦٠) أخرجه البخاري في «صحيحه»: (١١٤١).

وَلَا يَمُرُّ بِآيَةِ عَذَابٍ إِلَّا وَقَفَ يَتَعَوَّذُ، ثُمَّ رَكَعَ فَمَكَثَ رَاكِعًا بِقَدْرِ قِيَامِهِ، يَقُولُ فِي رُكُوعِهِ: «سُبْحَانَ ذِي الْجَبَرُوتِ وَالْمَلَكُوتِ وَالْكِبْرِيَاءِ وَالْعَظَمَةِ» ثُمَّ قَرَأَ: آلَ عِمْرَانَ، ثُمَّ سُورَةً سُورَةً يَفْعَلُ مِثْلَ ذَلِكَ»(١٦١).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : **«قَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِآيَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ لَيْلَةً»**(١٦٢).

و عن عَبْدِ اللهِ بْنِ الشِّخِّيرِ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ:«أَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَهُوَ يُصَلِّي وَلِجَوْفِهِ أَزِيزٌ كَأَزِيزِ الْمِرْجَلِ(١٦٣) **مِنَ الْبُكَاءِ»**(١٦٤).

وقال ابن أبي هالة –رضي الله عنه– :**«كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مُتَوَاصِلَ الْأَحْزَانِ دَائِمَ الْفِكْرَةِ لَيْسَتْ لَهُ رَاحَةٌ»**(١٦٥).

وقال ﷺ : **«إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ كُلَّ يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ»**(١٦٦).

وفي روايةٍ: **«سَبْعِينَ مَرَّةً»**(١٦٧).

ثم قال في «الشفا» :

---

(١٦١) أخرجه النسائي في «السنن الكبرى»: (١١٣٢)، والطبراني في «المعجم الكبير» : (١١٣) واللفظ له.

(١٦٢) أخرجه الترمذي في «سننه»: (٤٤٨).

(١٦٣) أي يُسمع من صدره الشريف ﷺ أثناء الصلاة صوت مثل صوت غلي الماء في القدر من هيبة الله – عز وجل– في قلبه.

(١٦٤) أخرجه الحاكم في «مستدركه»: (٦٧١)، والترمذي في «الشمائل» : (٣٢٣).

(١٦٥) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» : (٤١٤)، والترمذي في «الشمائل» : (٢٢٥).

(١٦٦) أخرجه النسائي في «السنن الكبرى»: (١٠١٩٥).

(١٦٧) أخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط» : (٨٧٧٠).

اعْلَمْ وَفَّقَنَا اللهُ وَإِيَّاكَ أَنَّ صِفَاتِ جَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ - صَلَوَاتُ اللهِ عليهم- مِنْ كَمَالِ الْخَلْقِ حسن الصُّورَةِ، وَشَرَفِ النَّسَبِ، وَحُسْنِ الْخُلُقِ، وَجَمِيعُ الْمَحَاسِنِ، هي هَذِهِ الصِّفَةُ لِأَنَّهَا صِفَاتُ الْكَمَالِ وَالتَّمَامُ الْبَشَرِي، وَالْفَضْلُ الْجَمِيعُ لهم -صلوات الله عَلَيْهِم- إِذْ رُتْبَتُهُمْ أَشْرَفُ الرُّتَبِ وَدَرَجَاتُهُمْ أَرْفَعُ الدَّرَجَاتِ وَلَكِنْ فَضَّلَ اللهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾[البقرة:٢٥٣](١٦٨).

(١٦٨) انظر: «الشفا»، للقاضي عياض : (١/ ٢٩٠).

ذكر حديث الحسن في حلية النبي وشمائله وأوصافه الشريفة ﷺ

قال القاضي عياض : قَدْ آتَيْنَاكَ أَكْرَمَكَ اللهُ مِنْ ذِكْرِ الْأَخْلَاقِ الْحَمِيدَةِ وَالْفَضَائِلِ الْمُجِيدَةِ وَخِصَالِ الْكَمَالِ الْعَدِيدَةِ وَأَرَيْنَاكَ صِحَّتَهَا لَهُ ﷺ وَجَلَبْنَا مِنَ الآثَارِ مَا فِيهِ مَقْنَعٌ وَالْأَمْرُ أَوْسَعُ فمجال هذا الْبَابِ فِي حَقِّهِ ﷺ مُمْتَدٌّ يَنْقَطِعُ دون نفاده الأدِلَّاءِ، وَبَحْرُ عِلْمِ خَصَائِصِهِ زَاخِرٌ لَا تُكَدِّرُهُ الدِّلاءُ[١٦٩] وَلَكِنَّا أَتَيْنَا فِيهِ بِالْمَعْرُوفِ مِمَّا أَكْثَرُهُ فِي الصَّحِيحِ وَالْمَشْهُورِ مِنَ الْمُصَنَّفَاتِ واقْتَصَرْنا فِي ذَلِكَ بِقُلَّ مِنْ كُلِّ وَغَيضٍ مِنْ فَيْضٍ وَرَأَيْنَا أَنْ نَخْتِمَ هَذِهِ الْفُصُولَ بِذِكْرِ حَدِيثِ الْحَسَنِ عَنِ ابْنِ أَبِي هَالَةَ لِجَمْعِهِ مِنْ شَمَائِلِهِ وَأَوْصَافِهِ كَثِيرًا وَإِدْمَاجِهِ جُمْلَةً كَافِيَةً مِنْ سِيَرِهِ وَفَضَائِلِهِ ﷺ:

روى الترمذي وغيره عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ قَالَ: « سَأَلْتُ خَالِي هِنْدَ بْنَ أَبِي هَالَةَ، وَكَانَ وَصَّافًا، عَنْ حِلْيَةِ النَّبِيِّ ﷺ ، وَأَنَا أَشْتَهِي أَنْ يَصِفَ لِي مِنْهَا شَيْئًا أَتَعَلَّقُ بِهِ، فَقَالَ: « كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَخْمًا مُفَخَّمًا، يَتَلَأْلَأُ وَجْهُهُ تَلَأْلُؤَ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، أَطْوَلُ مِنَ الْمُرْبُوعِ، وَأَقْصَرُ مِنَ الْمُشَذَّبِ، عَظِيمُ الْهَامَةِ، رَجِلُ الشَّعْرِ، إِنِ انْفَرَقَتْ عَقِيقَتُهُ فَرَّقَهَا، وَإِلَّا فَلَا يُجَاوِزُ شَعْرُهُ شَحْمَةَ أُذُنَيْهِ إِذَا هُوَ وَفَّرَهُ، أَزْهَرُ اللَّوْنِ، وَاسِعُ الْجَبِينِ، أَزَجُّ الْحَوَاجِبِ سَوَابِغَ فِي غَيْرِ قَرَنٍ، بَيْنَهُمَا عِرْقٌ يُدِرُّهُ الْغَضَبُ، أَقْنَى الْعِرْنَيْنِ، لَهُ نُورٌ يَعْلُوهُ، يَحْسَبُهُ مَنْ لَمْ يَتَأَمَّلْهُ أَشَمَّ، كَثُّ اللِّحْيَةِ، سَهْلُ الْخَدَّيْنِ، ضَلِيعُ الْفَمِ، مُفْلَجُ الْأَسْنَانِ، دَقِيقُ الْمَسْرُبَةِ، كَأَنَّ عُنُقَهُ جِيدُ دُمْيَةٍ فِي صَفَاءِ الْفِضَّةِ، مُعْتَدِلُ الْخَلْقِ، بَادِنٌ مُتَمَاسِكٌ، سَوَاءُ الْبَطْنِ وَالصَّدْرِ، عَرِيضُ الصَّدْرِ، بَعِيدُ مَا بَيْنَ الْمَنْكِبَيْنِ، ضَخْمُ الْكَرَادِيسِ، أَنْوَرُ الْمُتَجَرَّدِ، مَوْصُولُ مَا بَيْنَ اللَّبَّةِ وَالسُّرَّةِ بِشَعْرٍ يَجْرِي كَالْخَطِّ، عَارِي الثَّدْيَيْنِ وَالْبَطْنِ مِمَّا سِوَى ذَلِكَ، أَشْعَرُ الذِّرَاعَيْنِ وَالْمَنْكِبَيْنِ وَأَعَالِي الصَّدْرِ، طَوِيلُ الزَّنْدَيْنِ، رَحْبُ الرَّاحَةِ، شَثْنُ الْكَفَّيْنِ وَالْقَدَمَيْنِ، سَائِلُ الْأَطْرَافِ - أَوْ قَالَ: شَائِلُ الْأَطْرَافِ

---

(١٦٩) **والمعنى: أن باب الحديث عن شمائل نبينا ﷺ باب عظيم لا يمكن أن تفسده آراء المغرضين، ولا يمكن أن يوفيه حقه ﷺ كلام الواصفين فهو مثل : البحر الوافر الذي لا يمكن أن يتكدر صفوه.**

- خَمْصَانُ الْأَخْمَصَيْنِ، مَسِيحُ الْقَدَمَيْنِ، يَنْبُو عَنْهُمَا الْمَاءُ، إِذَا زَالَ زَالَ قَلِعًا، يَخْطُو تَكَفِّيًا، وَيَمْشِي هَوْنًا، ذَرِيعُ الْمِشْيَةِ، إِذَا مَشَى كَأَنَّمَا يَنْحَطُّ مِنْ صَبَبٍ، وَإِذَا الْتَفَتَ الْتَفَتَ جَمِيعًا، خَافِضُ الطَّرْفِ، نَظَرُهُ إِلَى الْأَرْضِ أَطْوَلُ مِنْ نَظَرِهِ إِلَى السَّمَاءِ، جُلُّ نَظَرِهِ الْمُلَاحَظَةُ، يَسُوقُ أَصْحَابَهُ وَيَبْدَأُ مَنْ لَقِيَ بِالسَّلَامِ»(١٧٠).

فَقُلْتُ: صِفْ لِي مَنْطِقَ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مُتَوَاصِلَ الْأَحْزَانِ دَائِمَ الْفِكْرَةِ لَيْسَتْ لَهُ رَاحَةٌ، طَوِيلُ السَّكْتِ، لَا يَتَكَلَّمُ فِي غَيْرِ حَاجَةٍ، يَفْتَتِحُ الْكَلَامَ وَيَخْتِمُهُ [ص:١٨٥] بِاسْمِ اللهِ تَعَالَى، وَيَتَكَلَّمُ بِجَوَامِعِ الْكَلِمِ، كَلَامُهُ فَصْلٌ، لَا فُضُولَ وَلَا تَقْصِيرَ، لَيْسَ بِالْجَافِي وَلَا الْمُهِينِ، يُعَظِّمُ النِّعْمَةَ، وَإِنْ دَقَّتْ لَا يَذُمُّ مِنْهَا شَيْئًا غَيْرَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَذُمُّ ذَوَّاقًا وَلَا يَمْدَحُهُ، وَلَا تُغْضِبُهُ الدُّنْيَا، وَلَا مَا كَانَ لَهَا، فَإِذَا تُعُدِّيَ الْحَقُّ لَمْ يَقُمْ لِغَضَبِهِ شَيْءٌ حَتَّى يَنْتَصِرَ لَهُ، وَلَا يَغْضَبُ لِنَفْسِهِ، وَلَا يَنْتَصِرُ لَهَا، إِذَا أَشَارَ أَشَارَ بِكَفِّهِ كُلِّهَا، وَإِذَا تَعَجَّبَ قَلَبَهَا، وَإِذَا تَحَدَّثَ اتَّصَلَ بِهَا، وَضَرَبَ بِرَاحَتِهِ الْيُمْنَى بَطْنَ إِبْهَامِهِ الْيُسْرَى، وَإِذَا غَضِبَ أَعْرَضَ وَأَشَاحَ، وَإِذَا فَرِحَ غَضَّ طَرْفَهُ، جُلُّ ضَحِكِهِ التَّبَسُّمُ، يَفْتَرُّ عَنْ مِثْلِ حَبِّ الْغَمَامِ»(١٧١).

قال الحَسَنُ: فَكَتَمْتُهَا الْحُسَيْنَ زَمَانًا، ثُمَّ حَدَّثْتُهُ فَوَجَدْتُهُ قَدْ سَبَقَنِي إِلَيْهِ. فَسَأَلَهُ عَمَّا سَأَلْتُهُ عَنْهُ وَوَجَدْتُهُ قَدْ سَأَلَ أَبَاهَا عَنْ مَدْخَلِهِ وَمَخْرَجِهِ وَشَكْلِهِ فَلَمْ يَدَعْ مِنْهُ شَيْئًا» الَ الْحُسَيْنُ: فَسَأَلْتُ أَبِي، عَنْ دُخُولِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: كَانَ « إِذَا أَوَى إِلَى مَنْزِلِهِ جَزَّأَ دُخُولَهُ ثَلَاثَةَ أَجْزَاءٍ، جُزْءًا للهِ، وَجُزْءًا لِأَهْلِهِ، وَجُزْءًا لِنَفْسِهِ، ثُمَّ جَزَّأَ جُزْأَهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ، فَيَرُدُّ ذَلِكَ بِالْخَاصَّةِ عَلَى الْعَامَّةِ، وَلَا يَدَّخِرُ عَنْهُمْ شَيْئًا، وَكَانَ مِنْ سِيرَتِهِ فِي جُزْءِ الْأُمَّةِ إِيثَارُ أَهْلِ الْفَضْلِ بِإِذْنِهِ وَقَسْمِهِ عَلَى قَدْرِ فَضْلِهِمْ فِي الدِّينِ، فَمِنْهُمْ ذُو الْحَاجَةِ، وَمِنْهُمْ ذُو الْحَاجَتَيْنِ، وَمِنْهُمْ ذُو الْحَوَائِجِ، فَيَتَشَاغَلُ بِهِمْ وَيَشْغَلُهُمْ فِيمَا يُصْلِحُهُمْ وَالْأُمَّةَ مِنْ مُسَاءَلَتِهِمْ عَنْهُ وَإِخْبَارِهِمْ بِالَّذِي يَنْبَغِي لَهُمْ وَيَقُولُ: «لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ مِنْكُمُ الْغَائِبَ، وَأَبْلِغُونِي حَاجَةَ مَنْ لَا يَسْتَطِيعُ إِبْلَاغَهَا، فَإِنَّهُ

---

(١٧٠) أخرجه الترمذي في «الشمائل»: (٨).

(١٧١) أخرجه الترمذي في «الشمائل»: (٢٢٦).

مَنْ أَبْلَغَ سُلطَانًا حَاجَةَ مَنْ لَا يَسْتَطِيعُ إِبْلَاغَهَا ثَبَّتَ اللهُ قَدمَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» ، لَا يُذْكَرُ عِنْدَهُ إِلَا ذَلِكَ، وَلَا يُقْبَلُ مِنْ أَحَدٍ غَيْرِهِ، يَدْخُلُونَ رُوَّادًا وَلَا يَفْتَرِقُونَ إِلَا عَنْ ذَوَاقٍ[١٧٢]، وَيُخْرِجُونَ أَدِلَّةً يَعْنِي عَلَى الْخَيْرِ قَالَ: فَسَأَلْتُهُ عَنْ مَخْرَجِهِ كَيْفَ يَصْنَعُ فِيهِ؟ قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَخْزِنُ لِسَانُهُ إِلَا فِيمَا يَعْنِيهِ، وَيُؤَلِّفُهُمْ وَلَا يُنَفِّرُهُمْ، وَيُكْرِمُ كَرِيمَ كُلِّ قَوْمٍ وَيُوَلِّيهِ عَلَيْهِمْ، وَيُحَذِّرُ النَّاسَ وَيَحْتَرِسُ مِنْهُمْ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَطْوِيَ عَنْ أَحَدٍ مِنْهُمْ بِشْرَهُ وَخُلُقَهُ، وَيَتَفَقَّدُ أَصْحَابَهُ، وَيَسْأَلُ النَّاسَ عَمَّا فِي النَّاسِ، وَيُحَسِّنُ الْحَسَنَ وَيُقَوِّيهِ، وَيُقَبِّحُ الْقَبِيحَ وَيُوَهِّيهِ، مُعْتَدِلُ الْأَمْرِ غَيْرُ مُخْتَلِفٍ، لَا يَغْفُلُ مَخَافَةَ أَنْ يَغْفُلُوا أَوْ يَمِيلُوا، لِكُلِّ حَالٍ عِنْدَهُ عَتَادٌ، لَا يُقَصِّرُ عَنِ الْحَقِّ وَلَا يُجَاوِزُهُ. الَّذِينَ يَلُونَهُ مِنَ النَّاسِ خِيَارُهُمْ، أَفْضَلُهُمْ عِنْدَهُ أَعَمُّهُمْ نَصِيحَةً، وَأَعْظَمُهُمْ عِنْدَهُ مَنْزِلَةً أَحْسَنُهُمْ مُوَاسَاةً وَمُؤَازَرَةً» قَالَ: فَسَأَلْتُهُ عَنْ مَجْلِسِهِ، فَقَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لَا يَقُومُ وَلَا يَجْلِسُ إِلَا عَلَى ذِكْرٍ، وَإِذَا انْتَهَى إِلَى قَوْمٍ جَلَسَ حَيْثُ يَنْتَهِي بِهِ الْمَجْلِسُ وَيَأْمُرُ بِذَلِكَ، يُعْطِي كُلَّ جُلَسَائِهِ بِنَصِيبِهِ، لَا يَحْسَبُ جَلِيسُهُ أَنَّ أَحَدًا أَكْرَمُ عَلَيْهِ مِنْهُ، مَنْ جَالَسَهُ أَوْ فَاوَضَهُ فِي حَاجَةٍ صَابَرَهُ حَتَّى يَكُونَ هُوَ الْمُنْصَرِفُ عَنْهُ، وَمَنْ سَأَلَهُ حَاجَةً لَمْ يَرُدَّهُ إِلَا بِهَا أَوْ بِمَيْسُورٍ مِنَ الْقَوْلِ، قَدْ وَسِعَ النَّاسَ بَسْطُهُ وَخُلُقُهُ، فَصَارَ لَهُمْ أَبًا وَصَارُوا عِنْدَهُ فِي الْحَقِّ سَوَاءً، مَجْلِسُهُ مَجْلِسُ عِلْمٍ وَحِلْمٍ وَحَيَاءٍ وَأَمَانَةٍ وَصَبْرٍ، لَا تُرْفَعُ فِيهِ الْأَصْوَاتُ وَلَا تُؤْبَنُ فِيهِ الْحُرَمُ، وَلَا تُثَنَّى فَلَتَاتُهُ[١٧٣] مُتَعَادِلِينَ، بَلْ كَانُوا يَتَفَاضَلُونَ فِيهِ بِالتَّقْوَى، مُتَوَاضِعِينَ يُوَقِّرُونَ فِيهِ الْكَبِيرَ وَيَرْحَمُونَ فِيهِ الصَّغِيرَ، وَيُؤْثِرُونَ ذَا الْحَاجَةِ وَيَحْفَظُونَ الْغَرِيبَ» (١٧٤).

وزاد بعض الرواة كيف كان سكوته ﷺ؟ فأجيب عليه : « **كَانَ سُكُوتُهُ عَلَى أَرْبَعٍ:**

---

(١٧٢) أي لا يخرجون من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا وقد تحصلوا على فائدة من علم يتعلمونه أو خلق كريم.

(١٧٣) أي لو حصل وصدر من أحد الحاضرين فلتة لسان بقول لا يليق أو لا يناسب المقام فكان باقي الحضور يتجملون بالستر.

(١٧٤) أخرجه الترمذي في «الشمائل»: (٣٣٧) .

عَلَى الْحِلْمِ، وَالْحَذَرِ، وَالتَّقْدِيرِ، وَالتَّفَكُّرِ».

فَأَمَّا تَقْدِيرُهُ فَفِي تَسْوِيَةِ النَّظَرِ وَالِاسْتِمَاعِ بَيْنَ النَّاسِ، وَأَمَّا تَفَكُّرُهُ فَفِيمَا يَبْقَى وَيَفْنَى، وَجُمِعَ لَهُ الْحِلْمُ ﷺ فِي الصَّبْرِ فَكَانَ لَا يُغْضِبُهُ شَيْءٌ يَسْتَفِزُّهُ، وَجُمِعَ لَهُ فِي الْحَذَرِ أَرْبَعٌ:

(١)- أَخْذُهُ بِالْحَسَنِ لِيُقْتَدَى بِهِ.

(٢)- وَتَرْكُهُ الْقَبِيحَ لِيُنْتَهَى عَنْهُ.

(٣)- وَاجْتِهَادُ الرَّأْيِ بِمَا أَصْلَحَ أُمَّتَهُ.

(٤)- وَالْقِيَامُ لَهُمْ بِمَا جَمَعَ لهم من أَمْرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

تَفْسِيرُ معاني حديث ابن أبي هالة في وصف النبي ﷺ

قال القاضي عياض(١٧٥):

(١)- «**الْمُشَذَّبُ**» أَيِ : الْبَائِنُ الطُّولِ فِي نَحَافَةٍ، وَهُوَ مِثْلُ قَوْلِهِ فِي الْحَدِيثِ الْآخَرِ لَيْسَ بِالطَّوِيلِ الْمُمَغَّطِ.

(٢)-«**الشَّعَرُ الرَّجِلُ**»: الَّذِي كأنه مشط فتكسّر قليلا ليس بسبط وَلَا جَعْدٍ.

(٣)-«**الْعَقِيقَةُ**»: شَعْرُ الرَّأْسِ أَرَادَ إِنِ انْفَرَقَتْ مِنْ ذَاتِ نَفْسِهَا فَرَقَهَا وَإِلَّا تَرَكَهَا مَعْقُوصَةً وَيُرْوَى عَقِيصَتُهُ.

(٤)-«**وَأَزْهَرُ اللَّوْنِ**»: نَيِّرُهُ وَقِيلَ أَزْهَرُ حَسَنٌ وَمِنْهُ زَهْرَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا أَيْ زِينَتُهَا وَهَذَا كَمَا قَالَ فِي الْحَدِيثِ الْآخَرِ لَيْسَ بِالْأَبْيَضِ الْأَمْهَقِ وَلَا بِالآدَمِ وَلَا بِالْآدَمِ، وَالْأَمْهَقِ: هُوَ النَّاصِعُ الْبَيَاضِ، وَالْآدَمُ: الْأَسْمَرُ اللَّوْنِ، وَمِثْلُهُ فِي الْحَدِيثِ الْآخَرِ أَبْيَضُ مُشْرَبٌ أَيْ فِيهِ حُمْرَةٌ.

(٥)-«**وَالْحَاجِبُ الْأَزَجُّ**»: الْمُقَوَّسُ الطَّوِيلُ الْوَافِرُ الشَّعْرِ.

(٦)-«**وَالْأَقْنَى**»: السَّائِلُ الْأَنْفِ الْمُرْتَفِعُ وَسَطُهُ.

(٧)-«**وَالْأَشَمُّ**»: الطَّوِيلُ قَصَبَةِ الْأَنْفِ.

(٨)-«**وَالْقَرْنُ**»: اتِّصَالُ شَعْرِ الْحَاجِبَيْنِ، وَضِدُّهُ الْبَلْجُ، وَوَقَعَ فِي حَدِيثِ أُمِّ مَعْبَدٍ وَصْفُهُ بِالْقَرْنِ.

(٩)-«**وَالْأَدْعَجُ**»: الشَّدِيدُ سَوَادِ الحدقة، وفي الحديث الآخر: أشكل العين، وأسحر الْعَيْنِ، وَهُوَ الَّذِي فِي بَيَاضِهَا حُمْرَةٌ.

(١٠)-«**وَالضَّلِيعُ**»: الْوَاسِعُ.

---

(١٧٥) انظر: «الشفا»، للقاضي عياض : (١/ ٣١٥).

(١١)-«**وَالشَّنَبُ**»: رَوْنَقُ الْأَسْنَانِ وَمَاؤُهَا، وَقِيلَ رِقَّتُهَا، وتحزيز فِيهَا كَمَا يُوجَدُ فِي أَسْنَانِ الشَّبَابِ.

(١٢)-«**وَالْفَلَجُ**»: فرق الثَّنَايَا.

(١٣)-«**وَدَقِيقُ الْمُسْرُبَةِ**»: خَيْطُ الشَّعْرِ الَّذِي بَيْنَ الصدر والسرة.

(١٤)-«**بادن**»: ذو لحم.

(١٥)-«**ومتماسك**»: مُعْتَدِلُ الْخَلْقِ، يُمْسِكُ بَعْضُهُ بَعْضًا، مِثْلَ قَوْلِهِ فِي الحديث الْآخَرِ لَمْ يَكُنْ بِالْمُطَهَّمِ(١٧٦) وَلَا بِالْمُكَلْثَمِ، أَيْ لَيْسَ بِمُسْتَرْخِي اللَّحْمِ، وَالْمُكَلْثَمُ الْقَصِيرُ الذَّقَنِ.

وَسَوَاءُ الْبَطْنِ وَالصَّدْرِ: أَيْ مُسْتَوِيهِمَا.

(١٦)-«**مُشِيحُ الصَّدْرِ**»: إِنْ صَحَّتْ هَذِهِ اللَّفْظَةُ فَتَكُونُ مِنَ الْإِقْبَالِ، وَهُوَ أَحَدُ مَعَانِي أَشَاحَ، أَيْ أَنَّهُ كَانَ بَادِيَ الصَّدْرِ، وَلَمْ يَكُنْ فِي صَدْرِهِ قَعَسٌ وَهُوَ تَطَامُنٌ فِيهِ وَبِهِ يَتَّضِحُ قَوْلُهُ قَبْلُ سَوَاءُ الْبَطْنِ وَالصَّدْرِ، أَيْ لَيْسَ بِمُتَقَاعِسِ الصَّدْرِ وَلَا مُفَاضِ الْبَطْنِ، وَلَعَلَّ اللَّفْظَ مَسِيحٌ بِالسِّينِ وَفَتْحِ الْمِيمِ بِمَعْنَى عَرِيضٍ كَمَا وَقَعَ فِي الرِّوَايَةِ الأخرى وحكاه ابن دريد.

(١٧)-«**الكراديس**»: رؤوس الْعِظَامِ، وَهُوَ مِثْلُ قَوْلِهِ فِي الْحَدِيثِ الْآخَرِ جليل المشاش، والكتد .

(١٨)-«**المشاش**»: رؤوس الْمَنَاكِبِ وَالْكَتَدُ: مُجْتَمَعُ الْكَتِفَيْنِ.

(١٩)-«**شَثْنُ الْكَفَّيْنِ وَالْقَدَمَيْنِ**»: لَحِيمُهُمَا.

(٢٠)-«**الزَّنْدَانِ**» : عَظْمَا الذِّرَاعَيْنِ.

(٢١)-«**وَسَائِلُ الْأَطْرَافِ**»: أَيْ طَوِيلُ الْأَصَابِعِ وَذَكَرَ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ أَنَّهُ رُوِيَ سائل الأطراف، أو قال سَائِنٌ بِالنُّونِ قَالَ: وَهُمَا بِمَعْنًى تُبْدَلُ اللَّامُ مِنَ النُّونِ إِنْ صَحَّتِ الرِّوَايَةُ بِهَا

---

(١٧٦) **أي : أن جسده الشريف ﷺ كان جسدًا متناسبًا معتدل القوام، وليس كثير اللحم المتراكم طبقة فوق طبقة.**

وَأَمَّا عَلَى الرِّوَايَةِ الْأُخْرَى وَسَائِرُ الْأَطْرَافِ فَإِشَارَةٌ إِلَى فَخَامَةِ جَوَارِحِهِ كَمَا وَقَعَتْ مُفَصَّلَةً فِي الْحَدِيثِ.

(٢٢)-«**رَحْبُ الرَّاحَةِ**»: أَيْ وَاسِعُهَا وَقِيلَ كَنَّى بِهِ عَنْ سِعَةِ الْعَطَاءِ وَالْجُودِ.

(٢٣)-«**مصَانُ الْأَخْمَصَيْنِ**»: أَيْ مُتَجَافِي أَخْمَصَ الْقَدَمِ، وَهُوَ الْمَوْضِعُ الَّذِي لَا تناله الأرض من وسط القدم.

(٢٤)-«**مسيح الْقَدَمَيْنِ**»: أَيْ أَمْلَسُهُمَا وَلِهَذَا قَالَ يَنْبُو عَنْهُمَا الْمَاءُ وَفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ خِلَافُ هَذَا قال فيه: إذا وطىء بقدمه وطىء بِكُلِّهَا لَيْسَ لَهُ أَخْمَصٌ[١٧٧]، وَهَذَا يُوَافِقُ مَعْنَى قَوْلِهِ مَسِيحُ الْقَدَمَيْنِ، وَبِهِ قَالُوا سُمِّيَ الْمَسِيحُ بن مَرْيَمَ أَيْ لَمْ يَكُنْ لَهُ أَخْمَصٌ وَقِيلَ: مَسِيحٌ لَا لَحْمَ عَلَيْهِمَا وَهَذَا أَيْضًا يُخَالِفُ قوله شثن القدمين.

(٢٥)-«**التقلع**»: رَفْعُ الرِّجْلِ بِقُوَّةٍ.

(٢٦)-«**التَّكَفُّؤُ**»: الْمَيْلُ إِلَى سَنَنِ الْمَشَى وَقَصْدِهِ.

(٢٧)-«**الْهُوْنُ**»: الرِّفْقُ وَالْوَقَارُ.

(٢٨)-«**الذَّرِيعُ**»: الْوَاسِعُ الْخَطْوِ أَيْ: إِنَّ مَشْيَهُ كَانَ يَرْفَعُ فِيهِ رِجْلَيْهِ بِسُرْعَةٍ وَيَمُدُّ خَطْوَهُ خِلَافَ مِشْيَةِ الْمُخْتَالِ وَيَقْصِدُ سِمَتَهُ، وَكُلُّ ذَلِكَ بِرِفْقٍ وَتَثَبُّتٍ دُونَ عَجَلَةٍ كَمَا قَالَ كَأَنَّمَا يَنْحَطُّ مِنْ صَبَبٍ.

(٢٩)-«**قَوْلُهُ : يَفْتَتِحُ الْكَلَامَ وَيَخْتِمُهُ بِأَشْدَاقِهِ**»: أَيْ لِسَعَةِ فَمِهِ، وَالْعَرَبُ تَتَمَادَحُ بِهَذَا وَتَذُمُّ بِصِغَرِ الْفَمِ.

(٣٠)-«**أَشَاحَ**»: مَالَ وَانْقَبَضَ.

(٣١)-«**حَبُّ الْغَمَامِ**»: الْبَرَدُ.

(٣٢)-«**قَوْلُهُ : فَيَرُدُّ ذَلِكَ بِالْخَاصَّةِ عَلَى الْعَامَّةِ**»: أَيْ جَعَلَ مِنْ جُزْءِ نَفْسِهِ مَا يُوصِلُ الْخَاصَّةَ إِلَيْهِ فَتُوصِلُ عَنْهُ لِلْعَامَّةِ، وَقِيلَ يُجْعَلُ مِنْهُ لِلْخَاصَّةِ ثُمَّ يُبَدِّلُهَا فِي جُزْءٍ آخَرَ بِالْعَامَّةِ.

---

(١٧٧) **أي : أن قدمه الشريفة ﷺ كانت مستوية من أسفلها، ليس بها التجويف المعروف عند سائر الناس.**

وَيَدْخُلُونَ رُوَادًا: أَيْ مُحْتَاجِينَ إِلَيْهِ وَطَالِبِينَ لِمَا عِنْدَهُ.

(٣٣)-«**لا ينصرفون إِلَّا عَنْ ذَوَاقٍ**»: قِيلَ عَنْ عِلْمٍ يَتَعَلَّمُونَهُ وَيُشْبِهُ أَنْ يَكُونَ عَلَى ظَاهِرِهِ أَيْ فِي الْغَالِبِ وَالْأَكْثَرِ.

(٣٤)-«**الْعَتَادُ**»: الْعِدَّةُ وَالشَّيْءُ الْحَاضِرُ الْمُعَدُّ.

(٣٥)-«**الْمُوَازَرَةُ**»: الْمُعَاوَنَةُ وَقَوْلُهُ.

(٣٦)-«**لَا يُوَطِّنُ الْأَمَاكِنَ**»: أَيْ لَا يَتَّخِذُ لِمُصَلَّاهُ مَوْضِعًا مَعْلُومًا وَقَدْ وَرَدَ نَهْيُهُ عَنْ هَذَا مُفَسَّرًا فِي غَيْرِ هَذَا الْحَدِيثِ.

(٣٧)-«**صَابَرَهُ**»: أَيْ حَبَسَ نَفْسَهُ عَلَى مَا يُرِيدُ صَاحِبُهُ.

(٣٨)-«**لَا تُؤْبَنُ فِيهِ الْحُرَمُ**»: أَيْ لَا يُذْكَرْنَ فِيهِ بِسُوءٍ.

(٣٩)-«**لَا تُثْنَى فَلَتَاتُهُ**»: أَيْ لَا يُتَحَدَّثُ بِهَا أَيْ لَمْ تَكُنْ فِيهِ فَلْتَةٌ، وَإِنْ كَانَتْ مِنْ أَحَدٍ سُتِرَتْ، وَيَرْفِدُونَ: يُعِينُونَ.

(٤٠)-«**السَّخَّابُ**»: الْكَثِيرُ الصِّيَاحِ.

(٤١)-«**وَلَا يَقْبَلُ الثَّنَاءَ إِلَّا مِنْ مكافيء**»: قِيلَ مُقْتَصِدٍ فِي ثَنَائِهِ وَمَدْحِهِ وَقِيلَ إِلَّا من مسلم وقيل إلا من مكافىء عَلَى يَدٍ سَبَقَتْ مِنَ النَّبِيِّ ﷺله.

(٤٢)-«**يستفزه**»: يستخفه وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ فِي وَصْفِهِ ﷺ.

(٤٣)-«**مَنْهُوسُ الْعَقِبِ**»: أَيْ قَلِيلُ لَحْمِهَا.

(٤٤)-«**أهداب الْأَشْفَارِ**»: أَيْ طَوِيلُ شَعْرِهَا.

عظيم قدره ﷺ عند ربه

اعلم: أنه لا خلاف في كونه ﷺ أكرم البشر، وسيد ولد آدم، وأفضل الناس منزلة عند الله - عز وجل - وأعلاهم درجة وأقر بهم زلفي.

واعلم أنَّ الأحاديث الواردة في ذلك كثيرة جدًا وقد اقتصرنا منها على صحيحها ومنتشرها فمما ورد من ذكر مكانته عند ربه، والاصطفاء، ورفعة الذكر، والتفضيل، وسيادة ولد آدم، وما خصه الله به في الدنيا من مزايا الرتب، وبركة اسمه الطيب :

ما رواه بسنده لابن عباس - رضى الله عنهما- قال : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « إِنَّ اللهَ تَعَالَى قَسَّمَ الْخَلْقَ قِسْمَيْنِ، فَجَعَلَنِي فِي خَيْرِهَا قِسْمًا، فَذَلِكَ قَوْلُهُ: {﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ﴾ **[الواقعة:٢٧]**، ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ﴾ [الواقعة: ٤١] ، فَأَنَا مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ، وَأَنَا مِنْ خَيْرِ أَصْحَابِ الْيَمِينِ، ثُمَّ جَعَلَ الْقِسْمَيْنِ بُيُوتًا، فَجَعَلَنِي فِي خَيْرِهِمَا بَيْتًا، فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ، وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ، وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾ [الواقعة: ٩] ، فَأَنَا مِنْ خَيْرِ السَّابِقِينَ، ثُمَّ جَعَلَ الْبُيُوتَ قَبَائِلَ، فَجَعَلَنِي فِي خَيْرِهَا قَبِيلَةً، فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ﴾ [الحجرات: ١٣] ، فَأَنَا أَتْقَى وَلَدِ آدَمَ وَأَكْرَمُهُمْ عَلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَلَا فَخْرَ، ثُمَّ جَعَلَ الْقَبَائِلَ بُيُوتًا، فَجَعَلَنِي فِي خَيْرِهَا بَيْتًا، فَذَلِكَ قَوْلُهُ:﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ **[الأحزاب:٣٣]**، فَأَنَا وَأَهْلُ بيتِي مُطَهَّرونَ مِنَ الذُّنوبِ» (١٧٨) .

---

(١٧٨) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» : (٢٦٧٤)، والبيهقي في «الدلائل» : (١/ ١٧٠).

وعن واثلة بن الأسقع -رضي الله عنه- قال ﷺ : «**إِنَّ اللهَّ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ بَنِي إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى مِنْ بَنِي كِنَانَةَ قُرَيْشًا، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ**»(١٧٩).

و من حديث أنس -رضي الله عنه-: «**أَنَا أَكْرَمُ وَلَدِ آدَمَ عَلَى رَبِّي وَلَا فَخْرَ**»(١٨٠).

وفي حديث ابن عباس -رضي الله عنهما-: « **وَأَنَا أَكْرَمُ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ وَلاَ فَخْرَ**»(١٨١).

وعن عائشة – رضي الله عنها- عَنْهُ ﷺ : «**أَتَانِي جِبْرِيلُ عليه السلام فَقَالَ:قَلَّبْتُ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا فَلَمْ أَرَ رَجُلًا أَفْضَلَ مِنْ مُحَمَّدٍ، وَلَمْ أَرَ بَنِي أَبٍ أَفْضَلَ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ**»(١٨٢).

وعن ابن عباس رَضِيَ اللهُّ عَنْهُ: عَنْهُ ﷺ : «**لَمَّا خَلَقَ اللهُّ آدَمَ أَهْبَطَنِي فِي صُلْبِهِ إِلَى الْأَرْضِ، وَجَعَلَنِي فِي صُلْبِ نُوحٍ فِي السَّفِينَةِ، وَقَذَفَ بِي فِي النَّارِ فِي صُلْبِ إِبْرَاهِيمَ، ثُمَّ لَمْ يَزَلْ يَنْقُلُنِي فِي الْأَصْلَابِ الْكَرِيمَةِ إِلَى الْأَرْحَامِ الطَّاهِرَةِ حَتَّى أَخْرَجَنِي بين أبوي.. لم يلتقيا على سفاح قط**»(١٨٣) .

وَإِلَى هَذَا أَشَارَ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رَضِيَ اللهُّ عَنْهُ بِقَوْلِهِ:

مِنْ قَبْلِهَا طِبْتَ فِي الظِّلَالِ وَفِي ... مُسْتَوْدَعٍ حَيْثُ يُخْصَفُ الْوَرَقُ

ثُمَّ هَبَطْتَ الْبِلَادَ لَا بَشَرٌ ... أَنْتَ وَلَا مُضْغَةٌ وَلَا عَلَقُ

---

(١٧٩) سبق تخريجه .

(١٨٠) أخرجه الترمذي في «سننه»: (٣٦١٠).

(١٨١) أخرجه الترمذي في «سننه»: (٣٦١٦) .

(١٨٢) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» : (٦٢٨٥)، والبيهقي في «الدلائل» : (١/ ١٧٦).

(١٨٣) أخرجه ابن حجر «المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية » : (٤٢٠٩)، والآجري في «الشريعة» : (٩٦٠)

.

بَلْ نُطْفَةٌ تَرْكَبُ السَّفِينَ وَقَدْ أَلْجَمَ نَسْرًا وَأَهْلَهُ الْغَرَقُ

تُنْقَلُ مِنْ صَالِبٍ إِلَى رَحِمٍ إِذَا مَضَى عَالِمٌ بَدَا طَبَقُ

وَأَنْتَ لَمَّا وُلِدْتَ أَشْرَقَتِ الْأَرْ ضُ وَضَاءَتْ بِنُورِكَ الْأُفُقُ

فَنَحْنُ فِي ذَلِكَ الضِّيَاءِ وَفِي النو ر وَسُبُلِ الرَّشَادِ نَخْتَرِقُ

يَا بَرْدَ نَارِ الْخَلِيلِ يَا سَبَبًا لِعِصْمَةِ النَّارِ وَهْيَ تَحْتَرِقُ(١٨٤)

وروى عنه ﷺ ابن عمر وعدد من الصحابة أنه قال: «**أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ مِنَ الأَنْبِيَاءِ قَبْلِي: نُصِرْتُ بالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وجُعِلَتْ لِي الأَرْضُ مَسْجِدًا وطَهُورًا، وأَيُّمَا رَجُلٍ مِن أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ فَلْيُصَلِّ، وأُحِلَّتْ لِي الغَنَائِمُ، وكانَ النبيُّ يُبْعَثُ إلى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وبُعِثْتُ إلى النَّاسِ كَافَّةً، وأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ**»(١٨٥) .

وفي رواية : «**بُعِثتُ إلى الأحمَرِ والأَسوَدِ**»(١٨٦).

وفي حديث أبي هريرة: «**بُعِثْتُ بِجَوَامِعِ الكَلِمِ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ، وَبَيْنَا أَنَا نَائِمٌ أُتِيتُ بِمَفَاتِيحِ خَزَائِنِ الأَرْضِ فَوُضِعَتْ فِي يَدِي**»(١٨٧).

وعن عقبة بن عامر أنه ﷺ قال: «**إِنِّي فَرَطٌ لَكُمْ، وَأَنَا شَهِيدٌ عَلَيْكُمْ، وَإِنِّي لَأَنْظُرُ إِلَى حَوْضِي الآنَ، وَإِنِّي أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِ الأَرْضِ، أَوْ مَفَاتِيحَ الأَرْضِ، وَإِنِّي وَاللهِ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تُشْرِكُوا بَعْدِي، وَلَكِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنَافَسُوا فِيهَا**»(١٨٨).

---

(١٨٤) في الأبيات إشارة إلى حال النبي ﷺ قبل ميلاده، كان ﷺ طيبًا مكرمًا في علم الغيب عند الله – عز وجل–، ثم كان في صلب أبينا آدم – عليه السلام– عندما أهبط للأرض ولم يكن في الأرض بشر قبله، وكان ﷺ نطفة في صلب سيدنا نوح في السفينة وهكذا ظل رسول الله ﷺ ينتقل من الأصلاب الطاهرة إلى الأرحام الطاهرة حتى أذن الله ووُلِد ﷺ في بيت عز وكرم وشرف، ويقول الشاعر: لما ولد ﷺ أشرقت الأرض بنور النبي الخاتم، ويقول : الشاعر ونحن قومك من بني هاشم نعيش في ذاك الضياء ونتشرف به ونهتدي بسبل الرشاد التي تخترق الضلال.

(١٨٥) أخرجه البخاري في «صحيحه»: (٤٣٨).

(١٨٦) أخرجه الحاكم في «مستدركه»: (٣٥٨٧).

(١٨٧) أخرجه البخاري في «صحيحه»: (٧٠١٣).

وعن عبد الله بن عمرو أنَّ رسول الله ﷺ قال «أَنَا مُحَمَّدٌ، النَّبِيُّ الْأُمِّيُّ؛ لَا نَبِيَّ بَعْدِي؛ أُوتِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ وَخَوَاتِمَهُ، وَعُلِّمْتُ خَزَنَةَ النَّارِ، وَحَمَلَةَ الْعَرْشِ» (١٨٩).

وعن ابن وهب أنه ﷺ قال «إنَّ اللهَ تعالى قال له ﷺ: سَلْ، فقال: إِنَّكَ اتَّخَذْتَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا، وَأَعْطَيْتَهُ مُلْكًا عظيما.

وكَلَّمتَ مُوسَى تكليما، وأعطيتَ دَاوُودَ مُلْكًا عَظِيمًا، وَأَلَنْتَ لَهُ الْحَدِيدَ، وَسَخَّرْتَ لَهُ الْجِبَالَ، وَأَعْطَيْتَ سُلَيْمَانَ مُلْكًا عَظِيمًا، وَسَخَّرْتَ لَهُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ وَالشَّيَاطِينَ وَالرِّيَاحَ، وَأَعْطَيْتَهُ مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ، وَعَلَّمْتَ عِيسَى التَّوْرَاةَ والإنجيل، وجعلته يبرىء الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ، وَأَعَذْتَهُ وَأُمَّهُ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ فَلَمْ يَكُنْ لَهُ عَلَيْهِمَا سَبِيلٌ.

فَقَالَ لَهُ رَبُّهُ تَعَالَى قَدِ اتَّخَذْتُكَ خَلِيلًا وَحَبِيبًا، فَهُوَ مَكْتُوبٌ فِي التَّوْرَاةِ: مُحَمَّدٌ حَبِيبُ الرَّحْمَنِ: وَأَرْسَلْتُكَ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً، وَجَعَلْتُ أُمَّتَكَ هُمُ الْأَوَّلُونَ وَهُمُ الْآخِرُونَ، وَجَعَلْتُ أُمَّتَكَ لَا تَجُوزُ لَهُمْ خُطْبَةٌ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنَّكَ عَبْدِي وَرَسُولِي، وَجَعَلْتُكَ أَوَّلَ النَّبِيِّينَ خَلْقًا، وَآخِرَهُمْ بَعْثًا وَأَعْطَيْتُكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي، وَلَمْ أُعْطِهَا نَبِيًّا قَبْلَكَ، وَأَعْطَيْتُكَ خواتيم سورة البقرة من كنز تحت عرش، ولم أُعْطِهَا نَبِيًّا قَبْلَكَ، وَجَعَلْتُكَ فَاتِحًا وَخَاتِمًا».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «مَا مِنَ الأَنْبِيَاءِ نَبِيٌّ إِلَّا أُعْطِيَ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ البَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُ وَحْيًا أَوْحَاهُ اللهُ إِلَيَّ، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ القِيَامَةِ» (١٩٠) .

مَعْنَى هَذَا عِنْدَ الْمُحَقِّقِينَ: بَقَاءُ مُعْجِزَتِهِ مَا بَقِيَتِ الدُّنْيَا. وَسَائِرُ مُعْجِزَاتِ الْأَنْبِيَاءِ ذَهَبَتْ لِلْحِينِ، وَلَمْ يُشَاهِدْهَا إِلَّا الْحَاضِرُ لَهَا، وَمُعْجِزَةُ الْقُرْآنِ يَقِفُ عَلَيْهَا قَرْنٌ بَعْدَ قَرْنٍ عَيَانًا لا خبرا الى يوم القيامة.

---

(١٨٨) أخرجه البخاري في «صحيحه»: (٤٠٨٥).

(١٨٩) أخرجه أحمد في «مسنده»: (٦٦٠٦).

(١٩٠) أخرجه البخاري في « صحيحه» : (٤٩٨١) .

وعن علي - رضي الله عنه- : «**إِنَّ كُلَّ نَبِيٍّ أُعْطِيَ سَبْعَةَ نُجَبَاءَ رُفَقَاءَ أَوْ رُقَبَاءَ وَأُعْطِيتُ أَنَا أَرْبَعَةَ عَشَرَ**»، **قُلْنَا: مَنْ هُمْ؟ قَالَ**، «**أَنَا وَابْنَايَ، وَجَعْفَرُ، وَحَمْزَةُ، وَأَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَمُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ، وَبِلَالٌ، وَسَلْمَانُ، وَعَمَّارٌ، وَالْمِقْدَادُ، وَحُذَيْفَةُ، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ**»(١٩١).

عَنِ الْعِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**إِنِّي عِنْدَ اللهِ فِي أَوَّلِ الْكِتَابِ لَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ وَأَنَّ آدَمَ لَمُنْجَدِلٌ فِي طِينَتِهِ، وَسَأُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِ ذَلِكَ دَعْوَةُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ وَبِشَارَةُ عِيسَى قَوْمَهُ، وَرُؤْيَا أُمِّي الَّتِي رَأَتْ أَنَّهُ خَرَجَ مِنْهَا نُورٌ أَضَاءَتْ لَهُ قُصُورُ الشَّامِ**»(١٩٢).

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: إِنَّ اللهَ فَضَّلَ مُحَمَّدًا ﷺ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ عليهم السلام وَعَلَى أَهْلِ السَّمَاءِ، فَقَالُوا: يَا ابْنَ عَبَّاسٍ بِمَ فَضَّلَهُ عَلَى أَهْلِ السَّمَاءِ؟ قَالَ: إِنَّ اللهَ قَالَ لِأَهْلِ السَّمَاءِ ﴿وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّيٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ **[الأنبياء:٢٩]**، وقال اللهُ عزَّ وجلَّ لمحمدٍ ﷺ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢﴾﴾ **[الفتح:١-٢]** فقيل له يا أبا عباسٍ فما فضلُهُ على الأنبياءِ قال إنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ قال ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤﴾﴾ **[ابراهيم:٤]** وقال لمحمدٍ ﷺ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾﴾ **[سبأ:٢٨]** فأرسله اللهُ إلى الإنسِ والجنِّ(١٩٣).

وحكى أبو محمد المكّي، وأبو اللَّيْثِ السَّمَرْقَنْدِيُّ، وَغَيْرُهُمَا: «**أَنَّ آدَمَ عِنْدَ مَعْصِيَتِهِ قَالَ : «اللَّهُمَّ بِحَقِّ مُحَمَّدٍ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي- ويُروى- وتقبل تَوْبَتِي**» .

---

(١٩١) أخرجه الترمذي في « سننه» : (٣٧٨٥) .

(١٩٢) أخرجه الحاكم في «مستدركه» : (٤١٧٥) .

(١٩٣) أخرجه الحاكم في «مستدركه» : (٣٣٣٥)، والطبراني في «المعجم الكبير» : (١١٦١٠).

فَقَالَ لَهُ اللهُ: مِنْ أَيْنَ عَرَفْتَ محمدا؟ . قال: رَأَيْتُ فِي كُلِّ مَوْضِعٍ مِنَ الْجَنَّةِ مَكْتُوبًا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ. وَيُرْوَى: مُحَمَّدٌ عَبْدِي وَرَسُولِي- فَعَلِمْتُ أَنَّهُ أَكْرَمُ خَلْقِكَ عَلَيْكَ، فَتَابَ اللهُ عَلَيْهِ وَغَفَرَ لَهُ.

وهذا عند قائله تأويل قوله تعالى : ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ **[البقرة:٣٧].**

وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى: فَقَالَ آدَمُ: «لَمَّا خَلَقْتَنِي رَفَعْتُ رَأْسِي إِلَى عَرْشِكَ فَإِذَا فِيهِ مَكْتُوبٌ.. لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ، فَعَلِمْتُ أَنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ أَعْظَمُ قَدْرًا عِنْدَكَ مِمَّنْ جَعَلْتَ اسْمَهُ مَعَ اسْمِكَ» . فَأَوْحَى اللهُ إِلَيْهِ: «وَعِزَّتِي وَجَلَالِي إِنَّهُ لَآخِرُ النَّبِيِّينَ مِنْ ذريتك، ولو لاه مَا خَلَقْتُكَ.قَالَ:« وَكَانَ آدَمُ يُكَنَّى بِأَبِي مُحَمَّدٍ، وَقِيلَ: بِأَبِي الْبَشَرِ »(١٩٤) .

وروى عن سريح بن يونس أنه قال: إن لله تعالى ملائكة سياحين عادتها على كل دار فيها اسم أحمد أو محمد.

وَرُوِيَ عَنْ سُرَيْجِ بْنِ يُونُسَ أَنَّهُ قَالَ :« **إِنَّ للهِ مَلائِكَةً سَيَّاحِينَ عِبَادَتُهَا عَلَى كُلِّ دَارٍ فِيهَا أَحْمَدُ أَوْ مُحَمَّدٌ إِكْرَامًا مِنْهُمْ لِمُحَمَّدٍ ﷺ**» .

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا – قال: «**عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ مَكْتُوبٌ:إِنِّي أَنَا اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا، مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ، لَا أُعَذِّبُ من قالها**»(١٩٥).

وَذُكِرَ أَنَّهُ وجدَ عَلَى الْحِجَارَةِ الْقَدِيمَةِ مَكْتُوبٌ : «**مُحَمَّدٌ تَقِيٌّ مُصْلِحٌ، وَسَيِّدٌ أَمِينٌ**».

وَذَكَرَ السِّمِنْطَارِيُّ :«**أَنَّهُ شَاهَدَ فِي بَعْضِ بِلَادِ خُرَاسَانَ مَوْلُودًا وُلِدَ، عَلَى أَحَدِ جَنْبَيْهِ مَكْتُوبٌ.. لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ** ».

وَعَلَى الْآخَرِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ.»

---

(١٩٤) أخرجه البيهقي في «الدلائل» : (٥/ ٤٨٩) .

(١٩٥) انظر: «جامع الآثار في السير ومولد المختار »، لابن ناصر : (١/ ٤٧٥) .

وذكر الأخباريون:« **نَّ بِبِلَادِ الْهِنْدِ وَرْدًا أَحْمَرَ مَكْتُوبًا عَلَيْهِ بِالْأَبْيَضِ.. لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ الله**».

وَرُوِيَ عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِيهِ:« **إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ نَادَى مُنَادٍ: أَلَا لِيَقُمْ مَنِ اسْمُهُ مُحَمَّدٌ فَلْيَدْخُلِ الْجَنَّةَ لِكَرَامَةِ اسْمِهِ** ﷺ».

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ– : « **إِنَّ اللهَ تَعَالَى نَظَرَ إِلى قُلُوبِ العِبَادِ فَاختَارَ مِنْهَا قَلْبَ مُحَمَّدٍ** ﷺ **فَاصْطَفَاهُ لِنَفْسِهِ فَبَعَثَهُ بِرِسَالَتِهِ**».

وحكى النقاش أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لما نزل قوله تعالى :﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾﴾ **[الأحزاب:٥٣]**، قَامَ خَطِيبًا فَقَالَ: يَا «مَعْشَرَ أَهْلِ الْإِيمَانِ.. إِنَّ اللهَ تَعَالَى فَضَّلَنِي عَلَيْكُمْ تَفْضِيلًا، وَفَضَّلَ نِسَائِي عَلى نِسَائِكُم تَفضِيلا».

قصة الإسراء والمعراج به ﷺ

قوله ومن خصائصه ﷺ قصة الإسراء وما انطوت عليه من درجات الرفعة مما به عليه الكتاب العزيز وشرحته صحاح الأخبار قال الله ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾ **[الإسراء: ١]** وقال تعالى ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾﴾ **[النجم: ١]**. إلى قوله ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ﴿١٨﴾﴾ **[النجم:١٨]** ولا خلاف بين المسلمين في صحة الإسراء به ﷺ إذ هو نص القرآن وجاءت بتفصيله، وشرح عجائبه و خواص محمد فيه ﷺ أحاديث كثيرة منتشرة.

روى مسلم عن أنس - رضي الله عنه- «أنَّ رَسولَ الله ﷺ قالَ: أُتِيتُ بالبُراقِ، وهو دابَّةٌ أبْيَضُ طَوِيلٌ فَوْقَ الحِمارِ، ودُونَ البَغْلِ، يَضَعُ حافِرَهُ عِنْدَ مُنْتَهَى طَرْفِهِ، قالَ: فَرَكِبْتُهُ حتَّى أتَيْتُ بَيْتَ المَقْدِسِ، قالَ: فَرَبَطْتُهُ بالحَلْقَةِ الَّتي يَرْبِطُ به الأنْبِياءُ، قالَ ثُمَّ دَخَلْتُ المَسْجِدَ، فَصَلَّيْتُ فيه رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ خَرَجْتُ فَجاءَنِي جِبْرِيلُ عليه السَّلامُ بإناءٍ مِن خَمْرٍ، وإناءٍ مِن لَبَنٍ، فاخْتَرْتُ اللَّبَنَ، فقالَ جِبْرِيلُ ﷺ: اخْتَرْتَ الفِطْرَةَ، ثُمَّ عُرِجَ بنا إلى السَّماءِ، فاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، فقِيلَ: مَنَ أنْتَ؟ قالَ: جِبْرِيلُ، قيلَ: ومَن معكَ؟ قالَ: مُحَمَّدٌ، قيلَ: وقدْ بُعِثَ إلَيْهِ؟ قالَ: قدْ بُعِثَ إلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنا، فإذا أنا بآدَمَ، فَرَحَّبَ بي، ودَعا لي بخَيْرٍ، ثُمَّ عُرِجَ بنا إلى السَّماءِ الثَّانِيَةِ، فاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ عليه السَّلامُ، فقِيلَ: مَنَ أنْتَ؟ قالَ: جِبْرِيلُ، قيلَ: ومَن معكَ؟ قالَ: مُحَمَّدٌ، قيلَ: وقدْ بُعِثَ إلَيْهِ؟ قالَ: قدْ بُعِثَ إلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنا، فإذا أنا بابْنَيِ الخالَةِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، ويَحْيَى بنِ زَكَرِيّا، صَلَواتُ اللهِ عليهما، فَرَحَّبا ودَعَوا لي بخَيْرٍ، ثُمَّ عَرَجَ بي إلى السَّماءِ الثَّالِثَةِ، فاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، فقِيلَ: مَنَ أنْتَ؟ قالَ: جِبْرِيلُ، قيلَ: ومَن معكَ؟ قالَ: مُحَمَّدٌ ﷺ، قيلَ: وقدْ بُعِثَ إلَيْهِ؟ قالَ: قدْ بُعِثَ إلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنا، فإذا أنا بيُوسُفَ ﷺ، إذا هو قدْ أُعْطِيَ شَطْرَ الحُسْنِ، فَرَحَّبَ ودَعا لي بخَيْرٍ، ثُمَّ عُرِجَ بنا إلى السَّماءِ الرَّابِعَةِ، فاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ عليه السَّلامُ،

قيلَ: مَن هذا؟ قالَ: جِبْرِيلُ، قيلَ: ومَن معكَ؟ قالَ: مُحَمَّدٌ، قالَ: وقدْ بُعِثَ إلَيْهِ؟ قالَ: قدْ بُعِثَ إلَيْهِ، فَفُتِحَ لنا فإذا أنا بإدْرِيسَ، فَرَحَّبَ ودَعا لي بخَيْرٍ، قالَ اللهُ عزَّ وجلَّ: ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾﴾ [مريم:٥٧]، ثُمَّ عُرِجَ بنا إلى السَّماءِ الخامِسَةِ، فاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، قيلَ: مَن هذا؟ فقالَ: جِبْرِيلُ، قيلَ: ومَن معكَ؟ قالَ: مُحَمَّدٌ، قيلَ: وقدْ بُعِثَ إلَيْهِ؟ قالَ: قدْ بُعِثَ إلَيْهِ، فَفُتِحَ لنا فإذا أنا بهارُونَ ﷺ، فَرَحَّبَ، ودَعا لي بخَيْرٍ، ثُمَّ عُرِجَ بنا إلى السَّماءِ السَّادِسَةِ، فاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ عليه السَّلامُ، قيلَ: مَن هذا؟ قالَ: جِبْرِيلُ، قيلَ: ومَن معكَ؟ قالَ: مُحَمَّدٌ، قيلَ: وقدْ بُعِثَ إلَيْهِ؟ قالَ: قدْ بُعِثَ إلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنا، فإذا أنا بمُوسَى ﷺ، فَرَحَّبَ ودَعا لي بخَيْرٍ، ثُمَّ عُرِجَ بنا إلى السَّماءِ السَّابِعَةِ، فاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، فقِيلَ: مَن هذا؟ قالَ: جِبْرِيلُ، قيلَ: ومَن معكَ؟ قالَ: مُحَمَّدٌ ﷺ، قيلَ: وقدْ بُعِثَ إلَيْهِ؟ قالَ: قدْ بُعِثَ إلَيْهِ، فَفُتِحَ لنا فإذا أنا بإبْراهِيمَ ﷺ مُسْنِدًا ظَهْرَهُ إلى البَيْتِ المَعْمُورِ، وإذا هو يَدْخُلُهُ كُلَّ يومٍ سَبْعُونَ ألْفَ مَلَكٍ لا يَعُودُونَ إلَيْهِ، ثُمَّ ذَهَبَ بي إلى السِّدْرَةِ المُنْتَهَى، وإذا ورَقُها كَآذانِ الفِيَلَةِ، وإذا ثَمَرُها كالْقِلالِ، قالَ: فَلَمَّا غَشِيَها مِن أمْرِ اللهِ ما غَشِيَ تَغَيَّرَتْ، فَما أحَدٌ مِن خَلْقِ اللهِ يَسْتَطِيعُ أنْ يَنْعَتَها مِن حُسْنِها، فأوْحَى اللهُ إلَيَّ ما أوْحَى، فَفَرَضَ عَلَيَّ خَمْسِينَ صَلاةً في كُلِّ يَومٍ ولَيْلَةٍ، فَنَزَلْتُ إلى مُوسَى ﷺ، فقالَ: ما فَرَضَ رَبُّكَ علَى أُمَّتِكَ؟ قُلتُ: خَمْسِينَ صَلاةً، قالَ: ارْجِعْ إلى رَبِّكَ فاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ، فإنَّ أُمَّتَكَ لا يُطِيقُونَ ذلكَ، فإنِّي قدْ بَلَوْتُ بَنِي إسْرائِيلَ وخَبَرْتُهُمْ، قالَ: فَرَجَعْتُ إلى رَبِّي، فَقُلتُ: يا رَبِّ، خَفِّفْ علَى أُمَّتِي، فَحَطَّ عَنِّي خَمْسًا، فَرَجَعْتُ إلى مُوسَى، فَقُلتُ: حَطَّ عَنِّي خَمْسًا، قالَ: إنَّ أُمَّتَكَ لا يُطِيقُونَ ذلكَ، فارْجِعْ إلى رَبِّكَ فاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ، قالَ: فَلَمْ أزَلْ أرْجِعُ بيْنَ رَبِّي تَبارَكَ وتَعالَى، وبيْنَ مُوسَى عليه السَّلامُ حتَّى قالَ: يا مُحَمَّدُ، إنَّهُنَّ خَمْسُ صَلَواتٍ كُلَّ يَومٍ ولَيْلَةٍ، لِكُلِّ صَلاةٍ عَشْرٌ، فَذلكَ خَمْسُونَ صَلاةً، ومَن هَمَّ بحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْها كُتِبَتْ له حَسَنَةً، فإنْ عَمِلَها

كُتِبَتْ له عَشْرًا، ومَن هَمَّ بسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْها لَمْ تُكْتَبْ شيئًا، فإنْ عَمِلَها كُتِبَتْ سَيِّئَةً واحِدَةً، قالَ: فَنَزَلْتُ حتَّى انْتَهَيْتُ إلى مُوسَى ﷺ، فأخْبَرْتُهُ، فقالَ: ارْجِعْ إلى رَبِّكَ فاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ، فقالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: فَقُلتُ: قدْ رَجَعْتُ إلى رَبِّي حتَّى اسْتَحْيَيْتُ منه»(١٩٦).

(١٩٦) أخرجه مسلم في «صحيحه»: (١٦٢).

في ذكر تفضيله ﷺ يوم القيامة

مما ذكر في تفضيله ﷺ يوم القيامة وتخصيصه بالكرامة :

ما رواه الترمذي بسنده عن أنس -رضى الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال : «**أَنَا أَوَّلُ النَّاسِ خُرُوجًا إِذَا بُعِثُوا، وَأَنَا خَطِيبُهُمْ إِذَا وَفَدُوا، وَأَنَا مُبَشِّرُهُمْ إِذَا أَيِسُوا، لِوَاءُ الحَمْدِ يَوْمَئِذٍ بِيَدِي، وَأَنَا أَكْرَمُ وَلَدِ آدَمَ عَلَى رَبِّي وَلَا فَخْرَ**»(١٩٧).

وفي رواية **قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ** ﷺ: «**أَنَا أَوَّلُهُمْ خُرُوجًا، وَأَنَا قَائِدُهُمْ إِذَا وَفَدُوا، وَأَنَا خَطِيبُهُمْ إِذَا أَنْصَتُوا، وَأَنَا مُسْتَشْفِعُهُمْ إِذَا حُبِسُوا، وَأَنَا مُبَشِّرُهُمْ إِذَا أَيِسُوا، الْكَرَامَةُ وَالْمَفَاتِيحُ يَوْمَئِذٍ بِيَدِي، وَأَنَا أَكْرَمُ وَلَدِ آدَمَ عَلَى رَبِّي، يَطُوفُ عَلَيَّ أَلْفُ خَادِمٍ كَأَنَّهُمْ بَيْضٌ مَكْنُونٌ، أَوْ لُؤْلُؤٌ مَنْثُورٌ**»(١٩٨).

وعن أبي هريرة في رواية الترمذي :«**وَأُكْسَى حُلَّةً مِنْ حُلَلِ الْجَنَّةِ ثُمَّ أَقُومُ عَنْ يَمِينِ الْعَرْشِ لَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الْخَلَائِقِ يَقُومُ ذَلِكَ الْمَقَامَ غَيْرِي**»(١٩٩).

وعن أبي سعيد الخدري – رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ :« **أَنا سيِّدُ ولدِ آدمَ يومَ القيامةِ ولا فَخرَ وبيدي لواءُ الحمدِ ولا فخرَ وما من نبيٍّ يومئذٍ آدمَ فمن سواهُ إلَّا تحتَ لوائي وأَنا أوَّلُ من تَنشقُّ عنهُ الأرضُ ولا فخرَ**»(٢٠٠) .

وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – :«**أنا سَيِّدُ ولَدِ آدَمَ يَومَ القِيامَةِ، وأَوَّلُ مَن يَنْشَقُّ عنْه القَبْرُ، وأَوَّلُ شافِعٍ وأَوَّلُ مُشَفَّعٍ**»(٢٠١).

---

(١٩٧) أخرجه الترمذي في «سننه» : (٣٦١٠) .

(١٩٨)أخرجه الدارمي في «مسنده» : (٤٩) .

(١٩٩) أخرجه الترمذي في «سننه» : (٣٦١١) .

(٢٠٠) أخرجه الترمذي في «صحيحه» : (٣٦١٥).

(٢٠١) أخرجه مسلم في «صحيحه» : (٢٢٧٨) .

وعن ابن عباس – رضي الله عنه –**قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا حَبيبُ الله ولا فَخرَ، وأنا حامِلُ لِواءِ الحَمدِ يومَ القيامةِ تَحتَهُ آدَمُ فمَن دونَه، ولا فَخرَ، وأنا أوَّلُ شافعٍ، وأوَّلُ مُشفَّعٍ يومَ القيامةِ ولا فَخرَ، وأنا أوَّلُ مَن يُحرِّكُ حِلَقَ الجنَّةِ، فيَفتَحُ اللهُ لي، فيُدخِلنيها، ومعي فُقراءُ المُؤمنينَ ولا فَخرَ، وأنا أكرَمُ الأوَّلينَ والآخِرينَ على الله ولا فخر»**(٢٠٢) .

وعن أنس من رواية مسلم : **«أنا أَوَّلُ النَّاسِ يَشْفَعُ فِي الجَنَّةِ وأنا أَكْثَرُ الأَنْبِياءِ تَبَعًا»**(٢٠٣).

وعن أنس – رضي الله عنه–، قال: **قال النبي ﷺ:« أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَومَ القِيَامَةِ، وهلْ تَدْرُونَ مِمَّ ذلكَ؟ يَجْمَعُ اللهُ النَّاسَ الأَوَّلِينَ والآخِرِينَ...وذكر حديث الشفاعة»**(٢٠٤) .

وعن أبي هريرة أنه ﷺقال : **«أَطْمَعُ أَنْ أَكُونَ أَعْظَمَ الْأَنْبِيَاءِ أَجْرًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ»** .

وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ: «أَمَا تَرْضَوْنَ أَنْ يَكُونَ إِبْرَاهِيمُ وَعِيسَى فِيكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّهُمَا فِي أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ.. أَمَّا إِبْرَاهِيمُ فَيَقُولُ: أَنْتَ دَعْوَتِي وَذُرِّيَّتِي فَاجْعَلْنِي مِنْ أُمَّتِكَ.. وَأَمَّا عِيسَى فَالْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ بَنُو عِلَّاتٍ أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى، وَإِنَّ عِيسَى أَخِي لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ نَبِيٌّ وَأَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِهِ».

وقوله ﷺ : «أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَومَ القِيامَة»، هو: سيدهم في الدنيا، ويوم القيامة ولكن أشار ﷺ لانفراده فيه بالسؤدد والشفاعة دون غيره، إذا لجأ الناس إليه في ذلك فلم يجدوا سواه، والسيد الذي يلجأ الناس إليه في حوائجهم، فكان حينئذٍ سيدًا منفردًا من بين البشر لم يزاحمه أحد في ذلك، ولا ادعاء، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ ۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ ۚ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾﴾ **[غافر:١٦]**.

---

(٢٠٢) **أخرجه الترمذي في «سننه»: (٣٦١٦)، والدارمي في «سننه»: (٤٨).**

(٢٠٣)**أخرجه مسلم في «صحيحه» : (١٩٦).**

(٢٠٤) **أخرجه البخاري في «صحيحه» : (٤٤٣٥).**

والملك له تعالى في الدنيا والآخرة لكن في الآخرة انقطعت دعوى المدعين لذلك في الدنيا ولذلك يَلجَأُ إلى محمد ﷺ جميع الناس في الشفاعة فكان سيدهم في الأخرى دون دعوى.

وعن أنس – رضي الله عنه- قال : قال رسول الله ﷺ : «**آتي بابَ الجَنَّةِ يَومَ القِيامَةِ فأَسْتفْتِحُ، فيَقولُ الخازِنُ: مَن أنْتَ؟ فأقُولُ: مُحَمَّدٌ، فيَقولُ: بكَ أُمِرْتُ لا أفْتَحُ لأَحَدٍ قَبْلَكَ**»(٢٠٥).

وعن عبد الله بن عمرو – رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ : «**حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ، ماؤُهُ أبْيَضُ مِنَ اللَّبَنِ، وريحُهُ أطْيَبُ مِنَ المِسْكِ، وكِيزانُهُ كَنُجُومِ السَّماءِ، مَن شَرِبَ مِنْها فلا يَظْمَأُ أبَدًا**»(٢٠٦).

---

(٢٠٥) أخرجه مسلم في «صحيحه» : (١٩٧)

(٢٠٦) أخرجه البخاري في «صحيحه» : (٦٥٧٩).

ذكر تفضيله بالمحبة والخلة ﷺ

وأما تفضيله ﷺ بالمحبة والخلة فقد جاءت بذلك الآثار الصحيحة واختُصَّ ﷺ على ألسنة المسلمين بحبيب الله.

فعن أبي سعيد الخدري – رضي الله عنه – عن النبي ﷺ أنه قال :«**لو كنتُ متَّخذًا من أَهْلِ الأرضِ خليلًا لاتَّخذتُ أبا بكرٍ خليلًا ، ولَكِن صاحبُكُم خليلُ اللهِ** وفي حديث آخر رواه مسلم **وَأَنَّ صَاحِبَكُم خَلِيلُ اللهِ**»(٢٠٧).

وروى الترمذي وغيره من طريق عبد الله بن مسعود : «وَقَد اتَّخَذَ اللهُ صَاحِبَكُم خَليلًا»(٢٠٨).

وعن ابن عباس – رضي الله عنه– قال : «**جلَسَ ناسٌ مِن أصحابِ رسولِ اللهِ ﷺ، ينتَظرونَهُ ، قالَ : فخَرجَ حتَّى إذا دَنا منهم سمعَهُم يتذَاكرونَ فسمِعَ حديثَهُم، فقالَ بَعضُهُم: عجبًا إنَّ اللهَ اتَّخذَ من خلقِهِ خليلًا، اتَّخذَ من إبراهيمَ خليلًا، وقالَ آخرُ: ماذا بأعجَبَ مِن كلامِ موسى كلَّمَهُ تَكْليمًا، وقالَ آخرُ: فَعيسى كلمةُ اللهِ وروحُهُ، وقالَ آخرُ: آدمُ اصطفاهُ اللهُ. فخرجَ عليهِم فسلَّمَ وقالَ: قد سَمِعْتُ كلامَكُم وعجبَكُم إنَّ إبراهيمَ خليلُ اللهِ وَهوَ كذلِكَ وموسى نجيُّ اللهِ وَهوَ كذلِكَ، وعيسى روحُهُ وَكَلمتُهُ وَهوَ كذلِكَ وآدمُ اصطفاهُ اللهُ وَهوَ كذلِكَ، ألا وأَنا حبيبُ ئاللهِ ولا فخرَ، وأَنا حاملُ لواءِ الحمدِ يومَ القيامةِ ولا فخرَ، وأَنا أَوَّلُ شافعٍ وأَوَّلُ مشفَّعٍ يومَ القيامةِ ولا فخرَ، وأَنا أَوَّلُ من يحرِّكُ حلقَ الجنَّةِ فيفتحُ اللهُ لي فيدخلُنيها ومعي فقراءُ المؤمنينَ ولا فخرَ، وأَنا أَكْرمُ الأَوَّلينَ والآخرينَ ولا فخرَ»**(٢٠٩).

---

(٢٠٧) أخرجه مسلم في «صحيحه»: (٢٣٨٣) .

(٢٠٨) أخرجه أحمد في «مسنده» : (٤٤١٣) .

(٢٠٩) أخرجه الدارمي في «سننه»: (٤٨) .

وفي حديثٍ إلى أبي هريرة - رضى الله تعالى عنه- من حديث الإسراء، في قول الله تعالى لنبيه ﷺ : «إني اتخذتك خليلاً فهو مكتوبٌ في التوراةِ: حبيبُ الرحمنِ».

وذكر ابن فورك : **عَنْ بَعْضِ الْمُتَكَلِّمِينَ كَلَامًا فِي الْفَرْقِ بَيْنَ المحبة والخلّة.. وَنَحْنُ نَذْكُرُ مِنْهُ طَرَفًا يَهْدِي إِلَى مَا بَعْدَهُ.**

فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ: «الْخَلِيلُ» يَصِلُ بِالْوَاسِطَةِ،من قوله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ٧٥ ﴾ **[الأنعام:٧٥]**، و«الحبيب» يصل إليه به، من قوله تعالى ﴿فَكَانَ قَابَ قَوۡسَيۡنِ أَوۡ أَدۡنَىٰ ٩ ﴾ **[النجم:٩]**.

وقيل : الخليل الذي تكون مغفرته في حد الطمع من قوله تعالى ﴿ وَٱلَّذِيٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوۡمَ ٱلدِّينِ ٨٢ ﴾ **[الشعراء:٨٢]**، والحبيب هو الذي مغفرته في حد اليقين من قوله ﴿لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَيَهۡدِيَكَ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ٢ ﴾ **[الفتح:٢]**.

والخليل قال ﴿وَلَا تُخۡزِنِي يَوۡمَ يُبۡعَثُونَ ٨٧ ﴾ **[الشعراء:٨٧]**. والحبيب قيل له ﴿يَوۡمَ لَا يُخۡزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ ٨ ﴾ **[التحريم:٨]**فابتدئ بالبشارة قبل السؤال والخليل قال في المحنة حَسْبِيَ اللهُ والحبيب قيل له ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٦٤ ﴾ **[الأنفال:٦٤]** الخليل قال ﴿وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ٨٤ ﴾ **[الشعراء:٨٤]**. والحبيب قيل له ﴿وَرَفَعۡنَا لَكَ ذِكۡرَكَ ٤ ﴾ **[الشرح:٤]**أعطي بلا سؤال والخليل قال ﴿ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا ٱلۡبَلَدَ ءَامِنٗا وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ ٣٥ ﴾ **[ابراهيم:٣٥]**والحبيب قيل له﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا ٣٣ ﴾ **[الأحزاب:٣٣]**.

ذكر تفضيله ﷺ بالشفاعة والمقام المحمود

ما ذكره من تفضيله ﷺ بالشفاعة والمقام المحمود و قال قال الله تعالى ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ٧٩ ﴾ **[الإسراء: ٧٩].**

فعن عن ابن عمر -رضي الله عنهما-أنه قال «إنَّ النَّاسَ يَصِيرُونَ يومَ القِيَامَةِ جُثًا، كُلُّ أُمَّةٍ تَتْبَعُ نَبِيَّهَا يقولونَ: يا فُلَانُ اشْفَعْ، يا فُلَانُ اشْفَعْ، حتَّى تَنْتَهي الشَّفَاعَةُ إلى النبيِّ ﷺ، فَذلكَ يومَ يَبْعَثُهُ اللهُ المَقَامَ المَحْمُودَ»(٢١٠).

سُئِلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عن المقامِ المحمودِ، فقال: «هي الشَّفَاعَةُ»(٢١١).

وروى أحمد:«عن كعب بن مالك عنه ﷺ يُبْعَثُ الناسُ يومَ القيامةِ ، فَأَكُونُ أنا و أُمَّتي على تَلٍّ ، يَكْسُونِي ربِّي حُلَّةً خَضْرَاءَ ، ثُمَّ يُؤْذَنُ لِي، فَأَقُولُ ما شاءَ اللهُ أنْ أَقُولَ ، فذَاكَ المَقَامُ المَحْمُودُ»(٢١٢).

وذكر روايات أخرى في ذلك منها رواية أحمد عن ابن مسعود: **«أَنَّ المَقامَ المَحمُودَ هُوَ قِيامُهُ ﷺ عَن يمينِ العَرشِ مَقاماً لا يقُومُهُ غَيرُهُ يَغبِطُهُ فِيهِ الأَوَّلُونَ والآخِرونَ ثُمَّ قَالَ وَعَن أَبِي مُوسَى فِي رُوَايَةِ ابنِ مَاجه عَنهُ عَليهِ الصَلَاةُ وَالسَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ خُيِّرتُ بينَ الشفاعةِ أو يدخُلَ نِصفُ أُمَّتي الجنَّةَ، فاختَرتُ الشفاعةَ؛ لأنَّها أعَمُّ وأكفى، أتَرَوْنَها للمتَّقِينَ؟! لا، ولكنَّها للمتلَوِّثينَ الخَطَّائينَ»**(٢١٣).

---

(٢١٠) أخرجه البخاري في «صحيحه»: (٤٧١٨) .

(٢١١) أخرجه أحمد في «مسنده»: (٢/ ٤٤١ و ٥٢٨) .

(٢١٢) أخرجه أحمد في «مسنده»: (١٥٧٨٣).

(٢١٣) أخرجه أحمد في «مسنده»: (٥٤٥٢) .

وعن أبي هريرة – رضي الله عنه– قال:«**سَأَلْتُ رَسُولَ اللهَّ ﷺ مَاذَا رَدَّ إِلَيْكَ رَبُّكَ فِي الشَّفَاعَةِ؟ فَقَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ ظَنَنْتُ أَنَّكَ أَوَّلُ مَنْ يَسْأَلُنِي عَنْ ذَلِكَ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الْعِلْمِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَمَا يُهِمُّنِي مِنَ انْقِصَافِهِمْ عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ أَهَمُّ عِنْدِي مِنْ تَمَامِ شَفَاعَتِي، وَشَفَاعَتِي لِمَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُّ مُخْلِصًا يُصَدِّقُ قَلْبُهُ لِسَانَهُ، وَلِسَانُهُ قَلْبَهُ**»(٢١٤).

وعن أم حبيبة أم المؤمنين –رضي الله عنها– قالت : قال رسول ﷺ : « **قال أُرِيتُ مَا يَلْقَى أُمَّتِي بَعْدِي، وَسَفْكَ بَعْضِهِمْ دِمَاءَ بَعْضٍ، وَسَبَقَ ذَلِكَ مِنَ اللهَّ كَمَا سَبَقَ فِي الْأُمَمِ قَبْلَهُمْ، فَسَأَلْتُهُ أَنْ يُولِيَنِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفَاعَةً فِيهِمْ فَفَعَلَ**»(٢١٥).

عَنْ حُذَيْفة– رضي الله عنه –قَالَ: « **يُجْمَعُ النَّاس فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَلا تَكَلَّمُ نَفْسٌ، فَأول مدعُو بِهِ مُحَمَّد ﷺ فَيَقُول: لبيْك وَسَعْديك فالخير فِي يَديك، وَالْمَهْدِي من هديت، وَعَبْدك بَين يَديك، مِنْك وَإِلَيْكَ، لَا مَلْجَأَ وَلا مَنْجَى إِلا إِلَيْكَ، تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ سُبْحَانَكَ رَبُّ الْبَيْتِ. فَهَذَا هو الْمَقَامُ الْمَحْمُود الَّذِي ذكره الله سُبْحَانَهُ** »(٢١٦).

وعن ابن عباس –رضي الله عنه– عن النبي ﷺ أنه قال : « **يُنصَبُ للأنبياءِ منابرُ من ذهبٍ فيجلِسون عليها ويبقَى منبري لا أجلِسُ عليه قائمًا بين يدَيْ ربِّي منتصِبًا مخافةَ أن يُبعثَ بي إلى الجنَّةِ وتبقَى أمَّتي بعدي ، فأقولُ : يا ربِّ أمَّتي ، فيقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ : يا محمَّدُ وما تريدُ أن أصنعَ بأمَّتِك ؟ فأقولُ : يا ربِّ عجِّلْ حسابَهم ، فما أزالُ أشفعُ حتَّى أُعطَى صِكاكًا برجالٍ قد بُعِث بهم إلى النَّارِ ، وحتَّى أنَّ مالكًا خازنَ النَّارِ يقولُ : يا محمَّدُ ما تركتَ للنَّارِ لغضبِ ربِّك في أمَّتِك من بقيَّةٍ**»(٢١٧).

---

(٢١٤) أخرجه الحاكم في «المستدرك» : (٢٣٣) .

(٢١٥) أخرجه الحاكم في «المستدرك»: (٢٢٧)، االطبراني في «المعجم الكبير» : (٤٠٩) .

(٢١٦) أخرجه الحاكم في «المستدرك»: (٣٣٨٤)، االطبراني في «المعجم الكبير» : (٤٠٩) .

(٢١٧) أخرجه الحاكم في «المستدرك»: (٢٢٠).

وفي الحديث المنتشر الصحيح « **إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةً يَدْعُو بِهَا، وَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَخْبَأَ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»(٢١٨)، ودعوته هذه مخصوصة بالأمة مضمونة الإجابة جزاه الله أحسن ما جزى نبيًا عن أمته ﷺ.

(٢١٨) **أخرجه البخاري في «صحيحه» : (٧٤٧٤) .**

ذكر تفضيله ﷺ في الجنة بالوسيلة والكوثر والفضيلة

ومما ذكر من تفضيله ﷺ في الجنة بالوسيلة والكوثر والفضيلة، ما رواه أبوداود عن عمرو بن العاص أنه سمع رسول ﷺ يقول : «**إذا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ، فَقُولوا مِثْلَ ما يقولُ ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ، فإنَّه مَن صَلَّى عَلَيَّ صَلاةً صَلَّى اللهُ عليه بها عَشْرًا، ثُمَّ سَلُوا اللهَ لِيَ الوَسِيلَةَ، فإنَّها مَنْزِلَةٌ في الجَنَّةِ، لا تَنْبَغِي إلَّا لِعَبْدٍ مِن عِبادِ اللهِ، وأَرْجُو أنْ أكُونَ أنا هُوَ، فمَن سَأَلَ لِي الوَسِيلَةَ حَلَّتْ له الشَّفاعَةُ**» (٢١٩).

وفي حديث آخر عن أبي هريرة :« **الْوَسِيلَةُ أَعْلَى دَرَجَةٍ فِي الْجَنَّةِ** »(٢٢٠).

وعن أنس كما في البخارى قال «**قال رسول الله ﷺ بيْنَما أنا أسِيرُ في الجَنَّةِ، إذا أنا بنَهَرٍ، حافَتاهُ قِبابُ الدُّرِّ المُجَوَّفِ، قُلتُ: ما هذا يا جِبْرِيلُ؟ قالَ: هذا الكَوْثَرُ، الذي أعْطاكَ رَبُّكَ، فإذا طِينُهُ - أوْ طِيبُهُ - مِسْكٌ أذْفَرُ شَكَّ هُدْبَةُ**»(٢٢١).

وعن عائشة وعبد الله بن عمرو مثله مع زيادة قوله ﷺ «**وَمَجْرَاهُ عَلَى الدُّرِّ وَالياقُوتِ، تُرْبَتُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ، وَمَاؤُهُ أَحْلَى مِنَ العَسَلِ، وَأَبْيَضُ مِنَ الثَّلْجِ** »(٢٢٢).

وفي رواية عن النبي ﷺ :«**فَإِذَا هُوَ يَجرِى أَي عَلَى وَجهِ الأَرضِ وَلَم يُشَقُّ شَقًّا، عَلَيهِ حَوضٌ تَرِدُ عَلَيهِ أُمَّتِي**»(٢٢٣).

ثم ذكر صاحب الشفا - رحمه الله تعالى- روايات أخرى في حوضه وكوثره ﷺ يراجعها من شاء.

---

(٢١٩) أخرجه مسلم في «صحيحه» : (٣٨٤) .

(٢٢٠)أخرجه الترمذي في «سننه»: (٣٦١٢) .

(٢٢١) أخرجه البخاري في «صحيحه»: (٦٥٨١)

(٢٢٢) أخرجه الترمذي في «سننه»: (٣٣٦١)

(٢٢٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في «صفة الجنة»: (٧٥) .

ذكر أسمائه الشريفة وما تضمنية من فضيلته ﷺ

عن مُحَمَّدَ بْنَ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: «أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَنَا أَحْمَدُ، وَأَنَا الْمَاحِي، الَّذِي يُمْحَى بِيَ الْكُفْرُ، وَأَنَا الْحَاشِرُ الَّذِي يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى عَقِبِي، وَأَنَا الْعَاقِبُ وَالْعَاقِبُ الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ نَبِيٌّ»(٢٢٤).

وقد سماه الله في كتابه محمد أو أحمد فمن خصائصه تعالى له ﷺ أن ضمن أسماءه ثناءه فطوى أثناء ذكره عظيم شكره.

فَأَمَّا اسْمُهُ أَحْمَدُ فَأَفْعَلُ مُبَالَغَةً من صِفَةِ الْحَمْدِ وَمُحَمَّدٌ مُفَعَّلٌ مُبالَغَةً من كَثْرَةِ الْحَمْدِ فهو ﷺ أَجَلُّ من حَمِدَ وَأَفْضَلُ من حُمِدَ وَأَكْثَرُ النَّاسِ حَمْدًا فَهُوَ أَحْمَدُ الْمَحْمُودِينَ وَأَحْمَدُ الْحَامِدِينَ وَمَعَهُ لواء الحمد يوم القيامة وليتم لَهُ كَمَالُ الْحَمْدِ وَيَتَشَهَّرَ فِي تِلْكَ الْعَرَصَاتِ بِصِفَةِ الْحَمْدِ.

وَيَبْعَثُهُ رَبُّهُ هُنَاكَ مَقَامًا مَحْمُودًا كَمَا وَعَدهُ يَحْمَدُهُ فِيهِ الأَوَّلُونَ وَالآخرُونَ بِشَفَاعِتِهِ لَهُمْ وَيَفْتَحُ عَلَيْهِ فِيهِ مِنَ الْمَحَامِدِ كَمَا قَالَ ﷺ مَا لَمْ يُعْطَ غَيْرُهُ وَسَمَّى أُمَّتَهُ فِي كُتُبِ أَنْبِيَائِهِ بِالْحَمَّادِينَ فَحَقِيقٌ أَنْ يُسَمَّى مُحَمَّدًا وَأَحْمَدَ ثُمَّ فِي هَذَيْنِ الاسْمَيْنِ من عَجَائِبِ خَصَائِصِهِ وَبَدَائِعِ آيَاتِهِ.

---

(٢٢٤) أخرجه مسلم في «صحيحه» : (٢٣٥٤) .

أَمَّا أَحْمَدُ الَّذِي أَتَى فِي الْكُتُبِ وَبَشَّرَتْ بِهِ الْأَنْبِيَاءُ فَمَنَع اللهُ تَعَالَى بِحِكْمَتِهِ أَنْ يُسَمَّى بِهِ أَحدٌ غَيْرِه وَلَا يُدْعَى بِهِ مَدْعُوّ قَبْلَهُ حَتَّى لَا يَدْخُلَ لَبْسٌ عَلَى ضَعِيفِ الْقَلْبِ أَوْ شَكٌ وَكَذَلِكَ مُحَمَّدٌ أَيْضًا لَمْ يُسَمَّ بِهِ أَحَدٌ مِنَ الْعَرَبَ وَلَا غَيْرِهِمْ إِلَى أَنْ شَاعَ قُبَيْلَ وُجُودِهِ ﷺ وَمِيلادِهِ أَنَّ نَبِيًّا يُبْعَثُ اسْمُهُ مُحَمَّدٌ فَسَمَّى قَوْمٌ قَلِيلٌ مِنَ الْعَرَبِ أَبْنَاءَهُمْ بِذَلِكَ رَجَاءَ أَنْ يَكُونَ أَحَدهُمْ هُوَ والله أَعْلَمُ .

وأما قوله: وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر فُسِّرَ في الحديث ويكون محو الكفر إما من مكة وبلاد العرب وما زُوِيَ له من الأرض ووعد أنه يبلغه ملك أمته أو يكون المحو بمعنى : الظهور والغلبة، كما قال الله تعالى:﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا ﴿٢٨﴾﴾ **[الفتح:٢٨]**

و في حديث آخر «**لِي عَشرَةُ أَسمَاءٍ فَذَكَرَ الخَمسَةَ الَّتِي فِي الحَدِيثِ الأَوَّلِ قَالَ وَأَنَا رَسُولُ الرَحمَةِ ورَسُولُ الرَاحَةِ ورَسُولُ المَلاحِمِ وَأَنَا المُقَفَّي قَفَّيتُ النَّبِيِّنَ وَأَنا قُثَم**»، والقثم الجامع الكامل.

وقد وقع في كتب الأنبياء، أنَّ **دَاوُدُ -عَلَيهِ السَّلامُ- قَالَ: « اللَّهُمَ ابعَث لَنَا مُحَمَّداً مُقِيمِ السُّنَّةِ بَعدَ الفَترَةِ فَقَد يَكُونُ القَيِّمُ بِمَعنَاهُ»**.

وفي حديث آخر: «**زِيَادَةُ المُدَثِّر وَالمُزَّمِّل وَعَبدَ الله**»، وفي حديث آخر زيادة «**خاتم**».

وفي حديث آخر زياد :«**نَبِيُّ التَوبَةِ وَنَبِيُّ المَلحَمَةِ وَنَبِيُّ الرَّحمَةِ وَنَبِيُّ المَرحَمَةِ وَنَبِيُّ الرَاحَةِ**»، وكله صحيح إن شاء الله تعالى.

ونبي الرحمة والتوبة والمرحمة والراحة فقد قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ **[الأنبياء:١٠٧]**، وكما وصفه بأنه يزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ويهديهم إلى صرط مستقيم و بالمؤمنين رؤوف رحيم.

وقد قال في صفة أمته «**أمة مرحومة**»(٢٢٥) وقال فيهم ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾﴾ **[البلد:١٧]**. أي : يرحم بعضهم بعضًا فبعثه ﷺ ربه تعالى رحمة لأمته ورحمة للعالمين ورحيمًا لهم ومترحمًا ومستغفرًا لهم ووصف أمته بالرحمة وأمرها بالتراحم وأثنى عليها فقال: «**إِنَّ اللهَ يُحِبُّ مِن عِبَادِهِ الرُّحَمَاء**»(٢٢٦).

وقال «**الرَّاحمونَ يرحمُهم الرحمنُ ، ارحمُوا أهلَ الأرضِ يرحْمكم مَن في السماءِ**».(٢٢٧)
وأما رواية نبي الملحمة فأشارة إلى ما بعث به ﷺ من القتال والسيف وهي صحيحة.

وروى الحربي في حديثه عليه الصلاة والسلام «**أَنَّهُ قَالَ أَتَانِي مَلَكٌ فَقَالَ أَنتَ قُثَم أَي تَجمَعُ**»(٢٢٨) قال والقثوم الجامع للخير وهذا اسم هو في أهل بيته عليه الصلاة والسلام معلوم.

وقد ذكر القرآن الكريم الكثير من ألقابه وسماته ﷺ غير ما ذكرناه : كالنور، والسراج المنير، والمنذر، والنذير، والمبشر، والبشير،والشاهد، والشهيد، والحق المبين، وخاتم النبيين، والرؤف الرحيم، والأمين، وقدم الصدق، ورحمة للعالمين، ونعمة الله، والعروة الوثقى، والصراط المستقيم، والنجم الثاقب، والكريم، والنبي الأمي، وداعي الله في أوصاف كثيرة وسمات جليلة.

وجرى منها في كتب الله المتقدمة، وكتب أنبيائه، وأحاديث رسوله ﷺ وإطلاق الأمة جملة شافية كتسميته ﷺ بالمصطفى، والمجتبى، وأبي القاسم، والحبيب، ورسول رب العالمين، والشفيع المشفع، والمنقى، والمصلح، والطاهر، والمهيمن، والصادق، والصدوق،

---

(٢٢٥) أخرجه أبو داوود في «سننه»: (٤٢٧٨) .

(٢٢٦) أخرجه أحمد في «مسنده»: (٢١٧٧٦) .

(٢٢٧) أخرجه أحمد في «مسنده»: (٦٤٩٤) .

(٢٢٨) أخرجه السيوطي في «الخصائص الكبرى»: (١/ ١١١)

والحماد، وسيد ولد آدم، وسيد المرسلين، وإمام المتقين، وقائد الغر المحجلين يوم القيامة، وخليل الرحمن، وصاحب الحوض المورود، والشفاعة، والمقام المحمود، وصاحب الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة، وصاحب التاج والمعراج، واللواء والقضيب، وراكب البراق والناقة والنجيب، وصاحب الحجة والسلطان والخاتم والعلامة والبرهان، وصاحب النعلين، والهراوة.

والهراوة في اللغة: العصا، وأراها والله أعلم أنها المذكورة في حديث الحوض: «**أَذُودُ النَّاسَ عَنهُ بِعَصَايَ لأَهلِ اليَمِين**»(٢٢٩).

وأما التاج فالمراد به: العمامة ولم تكن حينئذٍ إلا للعرب العمائم تيجان العرب.

قال القاضي عياض : - رحمه الله تعالى- : وأوصافه وألقابه وسماته ﷺ في الكتب كثيرة وفيما ذكرناه منها مقنع إن شاء الله تعالى : وكانت كنيته ﷺ المشهورة أبا القاسم.

رُوي عن أنس -رضى الله عنه- «**لَمَّا وُلِدَ إِبْرَاهِيمُ ابْنُ النَّبِيِّ ﷺ أَتَاهُ جِبْرِيلُ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَبَا إِبْرَاهِيمَ**»(٢٣٠).

---

٢٢٩ أخرجه مسلم في صحيحه: (٢٤٧)

٢٣٠ أخرجه الحاكم في «المستدرك»: (٤١٨٨)

فائدة في الفرق بين صفات الخالق والمخلوق

قال القاضي عياض -رحمه الله تعالى- بعد أن ذكر ما خلعه الله على نبيه سيدنا محمد ﷺ من أسمائه الحسنى: «وَهَا أَنَا أَذْكُرُ نُكْتَةً أُذَيِّلُ بِهَا هَذَا الْفَصْلَ، وَأَخْتِمُ بِهَا هَذَا الْقِسْمَ، وَأُزِيحُ الْإِشْكَالَ بِهَا فِيمَا تَقَدَّمَ عَنْ كُلِّ ضَعِيفِ الوهم، سقيم الفهم، يخلّصه مِنْ مَهَاوِي التَّشْبِيهِ، وَتُزَحْزِحُهُ عَنْ شُبَهِ التَّمْوِيهِ، وَهُوَ أَنْ يَعْتَقِدَ أَنَّ اللهَّ تَعَالَى جَلَّ اسْمُهُ فِي عَظَمَتِهِ وَكِبْرِيَائِهِ وَمَلَكُوتِهِ، وَحُسْنَى أَسْمَائِهِ، وَعُلِيِّ صِفَاتِهِ، لَا يُشْبِهُ شَيْئًا مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ، وَلَا يُشَبَّهُ بِهِ، وَأَنَّ مَا جَاءَ مِمَّا أَطْلَقَهُ الشَّرْعُ عَلَى الْخَالِقِ وَعَلَى الْمَخْلُوقِ فَلَا تشابه بينهما في المعنى الحقيقي إِذْ صِفَاتُ الْقَدِيمِ بِخِلَافِ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِ.

فَكَمَا أنّ ذاته تعالى لا تشبه الذوات، كَذَلِكَ صِفَاتُهُ لَا تُشْبِهُ صِفَات الْمَخْلُوقِينَ، إِذْ صِفَاتُهُمْ لَا تَنْفَكُّ عَنِ الْأَعْرَاضِ «١» وَالْأَغْرَاضِ وَهُوَ تَعَالَى مُنَزَّهٌ عَنْ ذَلِكَ، بَلْ لَمْ يَزَلْ بِصِفَاتِهِ وَأَسْمَائِهِ، وَكَفَى فِي هَذَا قَوْلُهُ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ **[الشورى: ١١]**.

وَللهَّ دَرُّ مَنْ قَالَ مِنَ الْعُلَمَاءِ الْعَارِفِينَ الْمُحَقِّقِينَ: «**التَّوْحِيدُ إِثْبَاتُ ذَاتٍ غَيْرِ مُشْبِهَةٍ لِلذَّوَاتِ وَلَا مُعَطِّلَةٍ عَنِ الصِّفَاتِ**» .

وَزَادَ هَذِهِ النُّكْتَةَ الْوَاسِطِيُّ - رَحِمَهُ اللهَّ- بَيَانًا وَهِيَ مَقْصُودُنَا فَقَالَ:« **لَيْسَ كَذَاتِهِ ذَاتٌ، وَلَا كَاسْمِهِ اسْمٌ وَلَا كَفِعْلِهِ فِعْلٌ، وَلَا كَصِفَتِهِ صِفَةٌ إِلَّا مِنْ جِهَةِ مُوَافَقَةِ اللَّفْظِ اللَّفْظَ**».

وَجَلَّتِ الذَّاتُ الْقَدِيمَةُ أَنْ تَكُونَ لَهَا صِفَةٌ حَدِيثَةٌ، كَمَا اسْتَحَالَ أَنْ تَكُونَ لِلذَّاتِ الْمُحْدَثَةِ صِفَةٌ قَدِيمَةٌ، وَهَذَا كُلُّهُ مَذْهَبُ أَهْلِ الْحَقِّ وَالسُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ - رَضِيَ اللهَّ عَنْهُمْ- .

وَقَدْ فَسَّرَ الْإِمَامُ أَبُو الْقَاسِمِ الْقُشَيْرِيُّ - رَحِمَهُ اللهَّ- قَوْلَهُ هَذَا لِيَزِيدَهُ بَيَانًا فَقَالَ:«هَذِهِ الْحِكَايَةُ تَشْتَمِلُ عَلَى جَوَامِعِ مَسَائِلِ التَّوْحِيدِ وَكَيْفَ تُشْبِهُ ذَاتُهُ ذَاتَ الْمُحْدَثَاتِ وَهِيَ بِوُجُودِهَا مُسْتَغْنِيَةٌ!!».

وَكَيْفَ يُشْبِهُ فِعْلُهُ فِعْلَ الْخَلْقِ، وَهُوَ لِغَيْرِ جَلْبِ أُنْسٍ أَوْ دَفْعِ نَقْصٍ حصل، ولا يخواطر وَأَغْرَاضٍ وُجِدَ وَلَا بِمُبَاشَرَةٍ وَمُعَالَجَةٍ ظَهَرَ، وَفِعْلُ الْخَلْقِ لَا يَخْرُجُ عَنْ هَذِهِ الْوُجُوهِ.

وَقَالَ آخَرُ مِنْ مَشَايِخِنَا: «**مَا تَوَهَّمْتُمُوهُ بِأَوْهَامِكُمْ، أَوْ أَدْرَكْتُمُوهُ بِعُقُولِكُمْ فَهُوَ مُحْدَثٌ مِثْلُكُمْ**».

وَقَالَ الْإِمَامُ أَبُو الْمَعَالِي الْجُوَيْنِيُّ: «**مَنِ اطْمَأَنَّ إِلَى مَوْجُودٍ انْتَهَى إِلَيْهِ فِكْرُهُ فَهُوَ مُشَبِّهٌ، وَمَنِ اطْمَأَنَّ إلى النفي المحض فهو مُعَطِّلٌ، وَإِنْ قَطَعَ بِمَوْجُودٍ اعْتَرَفَ بِالْعَجْزِ عَنْ دَرْكِ حَقِيقَتِهِ فَهُوَ مُوَحِّدٌ**».

وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ ذِي النُّونِ الْمِصْرِيِّ: «حَقِيقَةُ التَّوْحِيدِ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ قُدْرَةَ اللهِ تَعَالَى فِي الْأَشْيَاءِ بِلَا عِلَاجٍ، وَصُنْعَهُ لَهَا بِلَا مِزَاجٍ وَعِلَّةُ كُلِّ شَيْءٍ صُنْعُهُ وَلَا عِلَّةَ لِصُنْعِهِ، وَمَا تُصُوِّرَ فِي وَهْمِكَ فَاللهُ بِخِلَافِهِ»

وَهَذَا كَلَامٌ عَجِيبٌ نَفِيسٌ مُحَقَّقٌ وَالْفَصْلُ الْآخَرُ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ **[الشورى: ١١]**.

والثاني تفسير لقوله تعالى: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ **[الأنبياء: ٢٣]**.

والثالث تفسير لقوله: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَـٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾﴾ **[النحل: ٤٠]**.

ثَبَّتَنَا اللهَّ وَإِيَّاكَ عَلَى التَّوْحِيدِ والإثبات وَالتَّنْزِيهِ وَجَنَّبَنا طَرَفي الضَّلالَةِ وَالْغَوَايَةِ مِن التَّعْطِيلِ وَالتَّشْبِيهِ بمنه وَرَحْمَتِهِ.

الاستدلال بكثرة معجزاته وأوصافه الجميلة على صحة نبوته ﷺ

في هذه السطور نثبت في أمهات معجزاته ﷺ ومشاهير آياته؛ لندل على عظيم قدره عند ربه وأتينا منها بالمُحَقَّقِ، كما أضفنا إليها بعض ما وقع من مشاهير كتب الأئمة، وإذا تأمل المتأمل المنصف ما قدمناه من جميل أثره وحميد سيره، وبراعة عقله ورجاحته، وحله وجملة كماله، وجميع خصاله وشاهد حاله، وصواب مقاله، لم يمتر في صحة نبوته وصدق دعوته، وقد كفى هذا غير واحد في إسلامه والإيمان به.

روى الإمام الترمذي عن عبد الله بن سلام قال : «**لَمَّا قَدِمَ النبيُّ ﷺانجَفَلَ الناسُ عليه، فكُنتُ فيمَنِ انجَفَلَ، فلمَّا تَبَيَّنتُ وَجْهَه عَرَفتُ أنَّ وَجْهَه ليس بِوَجْهِ كذَّابٍ**»(٢٣١).

وعن أبي رمثة التميمي – رضي الله عنه– قال: «**أتيتُ النَّبيَّ ﷺومَعِيَ ابْنٌ لي فأُرِيتُهُ، فقُلتُ لَمَّا رأيتُهُ: هذا نبيُّ اللهِ ﷺ**»(٢٣٢).

وروى مسلم وغيره : «**أنَّ ضِمَادًا قَدِمَ مَكَّةَ، وَكانَ مِن أَزْدِ شَنُوءَةَ، وَكانَ يُرْقِي مِن هذِه الرِّيحِ، فَسَمِعَ سُفَهَاءَ مِن أَهْلِ مَكَّةَ يقولونَ: إنَّ مُحَمَّدًا مَجْنُونٌ، فَقالَ: لو أَنِّي رَأَيْتُ هذا الرَّجُلَ، لَعَلَّ اللهَّ يَشْفِيهِ علَى يَدَيَّ، قالَ: فَلَقِيَهُ، فَقالَ: يا مُحَمَّدُ، إنِّي أَرْقِي مِن هذِه الرِّيحِ، وإنَّ اللهَّ يَشْفِي علَى يَدَيَّ مَن شَاءَ، فَهلْ لَكَ؟ فَقالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: إنَّ الحَمْدَ للهَّ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، مَن يَهْدِهِ اللهَّ فلا مُضِلَّ له، وَمَن يُضْلِلْ فلا هَادِيَ له، وَأَشْهَدُ أَنْ لا إلَهَ إلَّا اللهَّ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ له، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسولُهُ، أَمَّا بَعْدُ، قالَ: فَقالَ: أَعِدْ عَلَيَّ كَلِمَاتِكَ هَؤُلَاءِ، فأعَادَهُنَّ عليه رَسولُ اللهِ ﷺ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، قالَ: فَقالَ: لقَدْ سَمِعْتُ قَوْلَ الكَهَنَةِ، وَقَوْلَ السَّحَرَةِ، وَقَوْلَ الشُّعَرَاءِ، فَما سَمِعْتُ مِثْلَ كَلِمَاتِكَ هَؤُلَاءِ، وَلقَدْ بَلَغْنَ نَاعُوسَ البَحْرِ، قالَ: فَقالَ: هَاتِ يَدَكَ أُبَايِعْكَ**» (٢٣٣).

---

(٢٣١) أخرجه الترمذي في «سننه»: (٢٤٨٥) .

(٢٣٢) أخرجه السيوطي في «الجامع الكبير»: (٢٢/ ١٢) .

(٢٣٣) أخرجه مسلم في «صحيحه»: (٨٦٨) .

وقال جامع بن شداد : «**كَانَ رَجُلٌ مِنَّا يُقَالُ لَهُ طَارِق فَأخبَرَ أَنَّهُ رَأى النَبِيَّ ﷺ بِالمدِينَةِ فَقَالَ ﷺ هَل مَعَكُم شَيءٌ تَبِيعُونَهُ قُلنَا هَذا البَعِيرُ قَالَ بِكَم؟ قُلنَا بِكَذَا وَكَذَا وَسَقًا مِن تَمرٍ فَأَخَذَ بِخِطَامِهِ وَسَارَ إلى المَدِينَةِ فَقُلنَا بِعنَا مِن رَجُلٍ لا نَدرِي مَن هُوَ وَمَعَنَا ظَعِينَةٌ فَقُلتُ أَنَا ضَامِنٌ لِثَمَنِ البَعِيرِ رَأَيتُ وَجهَ رَجُلٍ مِثلَ القَمَرِ لَيلَةَ البَدرِ لا يَخِيسُ بِكُم فَأصبَحنَا فَجَاءَ رَجُلٌ بِتَمرٍ فَقَالَ أَنا رَسُولُ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَيكُم يَأمُرُكُم أَن تَأكُلُوا مِن هَذَا التَمرِ وَتَكتَالُوا حتَّى تَستَوفُوا فَفَعَلنَا**».

وَفِي خَبَرِ الجُلُندِيُّ مَلِكِ عُمَانَ قال : «**لَمَّا بَلَغَهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَدعُوهُ إلى الإسلَامِ قَالَ الجُلُندِيُّ وَاللهِ لَقَد دَلَّنِي عَلى هذَا النَّبِيِّ الأُمِّيِّ أَنَّهُ لا يَأمُرُ بِخَيرٍ إلا كَانَ أَوَّلَ آخذٍ بِهِ وَلَا يَنهَي عَن شَرٍّ إِلَّا كَانَ أَوَّلِ تَارِكٍ لَهُ وَأَنَّهُ يَغلِبُ فَلا يَبطَرُ و يُغلَبُ فلا يَضجَرُ وَيَفِي بِالعَهدِ وَيُنجِزُ المَوعُودَ وَأشهَدُ أَنَّهُ نَبِيٌّ**».

وقال نفطويه في قوله: ﴿ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ﴾ **[النور:٣٥]** هذا مثل ضربه الله تعالى لنبيه ﷺ يقول تعالى : يكاد منظره يدل على نبوته وإن لم يتل قرءانا كما، قال ابن رواحة –رضي الله عنه– :

وْ لَمْ تَكُنْ فِيهِ آيَاتٌ مُبَيِّنَةٌ ... لَكَانَ مَنْظَرُهُ يُنْبِيكَ بِالْخَبَرِ

وصف معجزاته ﷺ بالإجمال وأعظمها القرآن

ساق القاضي عياض –رحمه الله تعالى– معجزات النبي ﷺ أحسن سياق، وذكرها على أتم الوجوه، وابتدأ ببيان إعجاز القرآن، وأتى من وجوه إعجازه الكثيرة على ما يتيقن كل منصف اطلع عليه أنه كلام الله حقًا، وليس في استطاعة أحد من خلق الله تعالى الإتيان بمثل أقصر سورة منه.

وذكر بعده من أنواع معجزاته ﷺ انشقاق القمر، وحبس الشمس ، ونبع الماء من بين أصابعه الشريفة، وتفجر الماء ببركته، وانبعاثه بمسه ودعوته، وتكثير الطعام ببركته ودعائه، وكلام الشجر وشهادتها له بالنبوة وإجابتها دعوته، وقصة حنين الجذع وما وقع من سائر الجمادات وأنواع الحيوانات من المعجزات، وإحياء الموتي، وإبراء المرضى وذوي العاهات، وإجابة دعائه ﷺ وانقلاب الأعيان فيما لمسه أو باشره، وما اطلع عليه من الغيوب فيما كان وما يكون.

في هذا الباب بحر لا يدرك قعره ولا ينزف غمره، وهذه المعجزة من جملة معجزاته ﷺ المعلومة على القطع، الواصل إلينا خبرها على التواتر لكثرة رواتها واتفاق معانيها على الاطلاع على الغيب. حتى إن كان بعضهم ليقول لصاحبه: «**اسكُت فَوَاللهِ لَو لَم يَكُن عِندَهُ مَن يُخبِرُهُ لأَخبَرَتهُ حِجَارَةُ البَطحَاءِ**».

ومن معجزاته ﷺ الباهرة ما جمعه الله له من المعارف والعلوم، وخصه به من الاطلاع على جميع مصالح الدنيا والدين، ومعرفته بأمور شرائعه وقوانين دينه، وسياسة عباده و مصالح أمته، وما كان في الأمم قبله، وقصص الأنبياء والرسل، والجبابرة والقرون الماضية من لدن آدم –عليه السلام– إلى زمنه، وحفظ شرائعهم وكتبهم، ووعي سيرهم وسرد أنبائهم وأيام الله فيهم، وصفات أعيانهم، واختلاف آرائهم، والمعرفة بمددهم وأعمارهم، وحكم حكمائهم، ومحاجة كل أمة من الكفرة ومعارضة كل فرقة من أهل الكتاب لما في كتبهم، وإعلامهم بأسرارها ومخبئات علومهم، وأخبارهم بما كتموه من ذلك

وغيروه إلى الاحتواء على لغة العرب وغريب ألفاظ فرقها، والإحاطة بضروب فصاحتها، والحفظ لأيامها وأمثالها وحكمها ومعاني أشعارها، والتخصيص بجوامع كلمها إلى المعرفة بضرب الأمثال الصحيحة، والحكم البينة بتقريب التفهم للغامض، والتبيين للمشكل إلى تمهيد قواعد الشرع الذي لا تناقض فيه، ولا تخاذل فيما أنزل عليه مع اشتمال شريعته ﷺ على محاسن الأخلاق، ومحامد الآداب، وكل شيء مستحسن مفصل لم ينكر منه ملحد ذو عقل سليم شيئًا إلا من جهة الخذلان بل كل جاحد له، وكافر من الجاهلية به ﷺ إذا سمع ما يدعو إليه صوبه واستحسنه دون طلب إقامة برهان عليه .

ثم ما أحل لهم من الطيبات، وحرم عليهم من الخبائث، وصان به أنفسهم وأعراضهم وأموالهم من المعاقبات والحدود عاجلاً، والتخويف بالنار آجلاً مما لا يعلم ولا يقوم به ولا ببعضه إلا من مارس الدرس والعكوف على الكتب، مع الاحتواء على ضروب العلم وفنون المعارف كالطب والعبارة أي تعبير الرؤيا والفرائض والحساب والنسب وغير ذلك من العلوم مما اتخذ أهل هذه المعارف كلامه ﷺ فيها قدوة وأصولًا في علمهم.

ثم ذكر -رحمه الله تعالى- جملة أحاديث تتعلق بالفنون التي ذكرها، وأتبعها بأنبائه وآياته ﷺ مع الملائكة والجن.

ثم أتبع ذلك بدلائل نبوته وعلامات رسالته، و ما ترادفت به الأخبار عن الرهبان والأحبار وعلماء أهل الكتاب من صفته، وصفة أمته، واسمه وعلاماته، وذِكر الخاتم الذي بين كتفيه، وما وُجِدَ في ذلك من أشعار الموحدين المتقدمين، ومما أخبر به الكهان، وسُمِعَ من هواتف الجن، وما وُجِدَ من اسم النبي ﷺ والشهادة له بالرسالة مكتوبة في الحجارة والقبور بالخط القديم، ما أكثره مشهور ومعلوم عند من اطلع على سيرته الشريفة ﷺ .

ذكر ماظهر عند ولادته ﷺ من الآيات وخوارق العادات

ومن ذلك ما ظهر من الآيات وخوارق العادات عند مولده ﷺ: **مَا حَكَتهُ أُمُّهُ وَمَن حَضَرَهُ مِنَ العَجَائِبِ وَكَونُهُ رَافِعاً رَأسَهُ عِندَمَا وَضَعَتهُ شَاخِصًا بِبَصَرِهِ إلى السَّمَاءِ وَمَا رَأتهُ مِنَ النُّورِ الَّذِي خَرَجَ عِندَ وِلادَتِهِ حتَّى رُؤِيَت مِنهُ قُصُورُ بُصرَى.**

كما رواه الإمام أحمد والبيهقي عن العرباض وأبي أمامة وما رأته إذ ذاك أم عثمان بن أبي العاص من تدلى النجوم وظهور النور عند ولادته حتى ما تنظر إلا النور.

وقول الشفاء أم عبد الرحمن بن عوف وهي قابلته «**لَمَّا سَقَطَ ﷺ عَلَى يَدِي وَاستَهَلَّ سَمِعتُ قَائِلاً يَقولُ رَحِمَكَ اللهُ وَأضَاءَ لِي مَا بَينَ المَشرِقِ وَالمَغرِبِ حتَّى نَظَرتُ إلى قُصُورِ الرُّومِ**»

وما تعرفت به مرضعته حليمة السعدية وزوجها من بركته ودرور لبنها له ولبن شارفها أي ناقتها المسنة وخصب غنمها وسرعة شبابه وحسن نشأته.

وما جرى من العجائب ليلة مولده ﷺ كما رواه البيهقي وغيره «**مِنَ ارتِجَاجِ إيوَانِ كِسرَى وَسُقُوطِ شُرُفَاتِهِ وَغَيضِ بُحَيرَةِ طَبَرِيَّةَ وَخُمُودِ نَارِ فَارِس وَكَانَ لها أَلفُ عَامٍ لمَ تَخمُد**»(٢٣٤).

وأنه ﷺ «**كَانَ إذَا أَكَلَ مَعَ عَمِّهِ أبي طَالِب وَآلِهِ وَهُوَ صَغِيرٌ شَبِعُوا وَإذا غَابَ فَأَكَلُوا فِي غَيبَتِهِ لَم يَشبَعُوا وَكَانَ سَائِرُ وَلَدِ أَبي طَالِبٍ يُصبِحُونَ شُهنًا وَ يُصبِحُ ﷺ صَقِيلاً دَهِينًا كَحِيلاً**».

قالت أم أيمن حاضنته:«**مَا رَأيتُهُ ﷺ اشتَكَى جُوعًا وَلا عَطَشًا صَغِيرًا ولا كَبِيرًا**».

ومن ذلك حراسة السماء بالشهب وقطع رصد معه عند الشياطين ومنعهم استراق السمع وما نشأ عليه من بغض الأصنام والعفة عن أمور الجاهلية وما خصه الله به من ذلك

---

(٢٣٤) أخرجه البيهقي في «الاعتقاد»: (٢٥٦)

وحماه حتى في ستره في الخبر المشهور عند بناء الكعبة كما رواه البخاري ومسلم «**عَن جَابِرٍ إِذ أَخَذَ ﷺ إِزَارَهُ لِيَجعَلَهُ عَلَى عَاتِقِهِ لِيحَمِلَ عَلَيهِ الحِجَارَةَ وَتَعَرَّى فَسَقَطَ عَلَى الأَرضِ حَتَّى رَدَّ إِزَارَهُ عَلَيهِ، فَقَالَ لَهُ عَمُّهُ العَبَّاسُ : مَا بَالُكَ؟ قَالَ : إِنِّي نُهِيتُ عَنِ التَعَرِّى**».

ومن ذلك إظلال الله تعالى له بالغمام في سفره كما رواه الترمذي وغيره وفي روايةٍ «**أَنَّ خَدِيجَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهَا وَنِسَاءَهَا رَأينَهُ ﷺ لما قَدِمَ أي مِنَ الشَامِ وَمَلَكَانِ يُظِلَّانِهِ فَذَكَرَت ذَلِكَ لِمَيسَرَةَ غُلَامَهَا فَأخبَرَهَا أَنَّهُ رَأَى ذَلِكَ مُنذُ خَرَجَ مَعَهُ فِي سَفَرِهِ**»(٢٣٥).

وقد رُوِيَ «**أَنَّ حَلِيمَةَ رَأَت غَمَامَة تُظَلِّلُهُ وَهُوَ عِندَهَا**».

ورُوِيَ ذلك عن أخيه من الرضاعة.

ومن ذلك «**أَنَّهُ نَزَلَ فِي بَعضِ أَسفَارِهِ قَبلَ مَبعَثِهِ تَحتَ شَجَرَةٍ يَابِسَةٍ فَاعشَوشَبَ مَا حَولَهَا وَأَينَعَت هِيَ فَأَشرَقَت وَتَدَلَّت عَلَيهِ أَغصَانُهَا بِمَحضِرِ مَن رَآهُ وَمَيلُ الشَجَرَةِ إِلَيهِ فِي الخَبَرِ الآخَرِ حتَّى أَظَلَّتهُ**».

وما ذُكِرَ من أنه ﷺ كان لا ظل لشخصه في شمس ولا قمر؛ لأنه كان نورًا وأنَّ الذباب كان لا يقع على جسده ولا ثيابه، ومن ذلك تحبيب الخلوة إليه حتى أُوحِيَ إليه أي بنزول القرآن عليه كما في الصحيحين، ثم إعلامه بموته ودنو أجله كما في الصحيحين أيضًا وأن قبره بالمدينة وفي بيته، وأن بين بيته ومنبره روضة من رياض الجنة، وتخيير الله تعالى له ﷺ عند موته أي بين الدنيا والآخرة «**فَاختَارَ الآخِرَةَ وَقَالَ اللَّهُمَّ الرَّفِيقَ الأَعلَى**»(٢٣٦)، وهي آخر كلمة تكلم بها ﷺ.

وَمَا اشْتَمَلَ عَلَيْهِ حَدِيثُ الْوَفَاةِ من كَرَامَاتِهِ وَتَشْرِيفِهِ وَصَلَاةِ الْمَلَائِكَةِ عَلَى جَسَدِهِ وَاسْتِئْذَانِ مَلَكِ الْمَوْتِ عَلَيْهِ وَلَمْ يَسْتَأْذِنْ عَلَى غَيْرِهِ قَبْلَهُ وَنِدَائِهِمُ الَّذِي سَمِعُوهُ أَنْ لَا تَنْزِعُوا

---

(٢٣٥) أخرجه السيوطي في «مناهل الصفا» : (١٧٢) .

(٢٣٦) أخرجه البخاري في «صحيحه»: (٤٤٦٣) .

الْقَمِيصَ عَنْهُ عِنْدَ غُسْلِهِ وَمَا رُوِيَ من تَعْزِيَةِ الْخَضِرِ وَالْمَلَائِكَةِ أَهْلَ بَيْتِهِ عِنْدَ مَوْتِهِ إِلَى مَا ظَهَرَ عَلَى أَصْحابِهِ من كرامته وَبَرَكَتِهِ فِي حَيَاتِهِ وَمَوْتِهِ كَاسْتِسْقَاءِ عُمَرَ بِعَمِّهِ وَتَبَرُّكِ غَيْرِ واحد بذريته.

ذكر ترجيح معجزاته ﷺ على الرسل بكثرتها وعظمتها

ومعجزات نبينا ﷺ أظهر من سائر معجزات الرسل بوجهين:

أحدهما: كثرتها وأنه لم يؤت نبي معجزة إلا وعند نبينا مثلها أو ما هو أبلغ منها، وقد نبه الناس على ذلك.

وأما كونها كثيرة فهذا القرآن وكله معجز وأقل ما يقع الإعجاز فيه سورة ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١﴾ **[الكوثر: ١]**

وإذا كان هذا ففي القرآن من الكلمات نحو من سبعة وسبعين ألف كلمة ونيف وعدد كلمات ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١﴾ **[الكوثر: ١]** عشر كلمات فيجزأ القرآن على نسبة عددها أزيد من سبعة آلاف جزء كل واحد منها معجز في نفسه، ثم إعجازه بطريق بلاغته، وطريق نظمه فتضاعف العدد، ثم فيه وجوه إعجاز أخرى من الإخبار بعلوم الغيب فتضاعف العدد كرَّةً أخرى ثم وجوه الإعجاز الأخرى توجب التضعيف هذا في حق القرآن، فلا يكاد يأخذ العد معجزاته ولا يحوي الحصر براهينه.

ثم الأحاديث الواردة والأخبار الصادرة في هذه الأبواب تبلغ نحوًا من هذا التضعيف.

الوجه الثاني: وضوح معجزاته ﷺ فإن معجزات الرسل كانت بقدر همم أهل زمانهم و بحسب الفن الذي قد سما فيه قرنه، فلما كان زمن موسى -عليه السلام- غاية علم أهله السحر، بُعِثَ إليهم موسى بمعجزة تشبه ما يدَّعون قدرتهم عليه فجاءهم منها ما خرق عادتهم ولم يكن في قدرتهم وأبطل سحرهم.

وكذلك زمن عيسى -عليه السلام- أغنى ما كان الطب وأوفر ما كان أهله فجاءهم أمر لا يقدرون عليه وأتاهم ما لم يحتسبوه من إحياء الميت وإبراء الأكمه والأبرص دون معالجة ولا طب وهكذا سائر معجزات الأنبياء.

ثم إن الله تعالى بعث محمدًا ﷺ وجملة معارف العرب وعلومها أربعة البلاغة والشعر والخبر والكهانة فأنزل القرآن الخارق لهذه الأربعة فصول من الفصاحة والإيجاز والبلاغة الخارجة عن نمط كلامهم ومن النظم الغريب والأسلوب العجيب الذي لم يهتدوا في المنظوم إلى طريقه ولا عملوا في أساليب الأوزان منهجه.

ومن الأخبار عن الكوائن والحوادث والأسرار والمخبئات فتوجد على ما كانت ويعترف المخبر عنها بصحة ذلك وصدقه وإن كان أعدى العدو فأبطل الكهانة التي تصدق مرة وتكذب عشرًا ثم اجتثها من أصلها برجم الشهب ورصد النجوم.

وجاء من الأخبار عن القرون السابقة، وأنباء الأنبياء، والأمم البائدة، والحوادث الماضية ما يعجز من تفرغ لهذا العلم عن بعضه.

ثم بقيت هذه المعجزة ثابتة إلى يوم القيامة بينة الحجة لكل أمة تأتي لا تخفى وجوه ذلك على من نظر فيه وتأمل وجوه إعجازه، إلى ما أخبر به من الغيوب على هذا السبيل فلا يمر عصر ولا زمن إلا ويظهر فيه صدقه ﷺ على ما أخبر فيتجدد الإيمان ويتظاهر البرهان وسائر معجزات الرسل انقرضت بانقراضهم ومعجزة نبينا لا تبيد ولا تنقطع وآياته تتجدد ولا تضمحل ولهذا قال ﷺ « **ما مِن الأنْبِياءِ نَبِيٌّ إلَّا أُعْطِيَ ما مِثْلُهُ آمَنَ عليه البَشَرُ، وإنَّما كانَ الذي أُوتِيتُ وَحْيًا أوْحاهُ اللهُ إلَيَّ، فأرْجُو أنْ أكُونَ أكْثَرَهُمْ تابِعًا يَومَ القِيامَةِ**» (٢٣٧).

---

(٢٣٧) أخرجه البخاري في «صحيحه»: (٤٦٩٦)

وذهب غير واحد من العلماء في تأويل هذا الحديث وظهور معجزة نبينا ﷺ إلى معنى آخر من ظهورها بكونها وحيًا وكلامًا لا يمكن التخييل فيه، ولا التجميل عليه، ولا التشبيه؛ فإن غيرها من معجزات الرسل قد رام المعاندون لها بأشياء طمعوا في التخييل بها على الضعفاء كإلقاء السحرة حبالهم وعصيهم وشبه هذا بما يخيله الساحر أو يتحيل فيه.

والقرآن كلام الله تعالى ليس للحيلة ولا للسحر ولا للتخييل فيه عمل فكان من هذا الوجه أظهر من غيره من المعجزات، فترك العرب معارضتهم إياه ورضاهم بالبلاء والجلاء، والسباء، والإذلال، وتغيير الحال، وسلب النفوس والأموال، والتقريع والتوبيخ والتعجيز، والتهديد والوعيد بين آية للعجز عن الإتيان بمثله والحمد لله رب العالمين.

ثم ختم القاضي عياض -رحمه الله تعالى – جواهره المذكورة في«الشفا» بما يجب على الناس من حقوقه ﷺ والإيمان به، وطاعته، واتباع سنته، ولزوم محبته، ومناصحته، وتعظيم أمره، ووجوب توقيره وبره، ولزوم حرمته ﷺ بعد موته، وإعظام جميع ما يُنسَبُ إليه، وحكم الصلاة والتسليم عليه ﷺ، وفضل زيارة قبره وعصمته، وما يجب له ﷺ وما يستحيل في حقه وما يمتنع، وعقاب من سبه أو تنقَّصَهُ ﷺ بالقتل ونحوه، ثم ختم ذلك بفصل قال فيه: سب أهل بيتهﷺ وأزواجه وأصحابه وتنقصهم حرام ملعون فاعله، فمن أراد المزيد يذهب إلى «الشفا» .

خاتمة

قال الإمام النبهاني : والحاصل أن القاضي عياض –رحمه الله تعالى- قد شرح في كتابه «الشفا» من فضائله ﷺ ومعجزاته وأحواله ﷺ ما لا يستغني مسلم عن الاطلاع عليه والانتفاع به، فإنه فريد في هذا الباب، وقد أجمعت الأمة على تلقيه بالقبول وهو أول كتاب أُلِّفَ من هذه الكتب المختصة بفضل الرسول ﷺ، نعم كتاب «المواهب اللدنية» لا يفضله كتاب في هذا الباب، لكن الفضل لمن تقدم... والله أعلم.

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

المصادر

(١)- « **جواهر البحار في فضائل النبي المختار**ﷺ »، للشيخ يوسف بن إسماعيل النبهاني « ت: ١٣٥٠هـ »، تحقيق : محمد أمين الضناوي، الطبعة الأولى: (١٤٤٢هـ/ ٢٠١٠م)، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان .

(٢)- «الشفا بتعريف حقوق المصطفى»، لأبي الفضل عياض بن موسى اليحصبي (ت: ٥٤هـ)، الطبعة: الثانية : (١٤٠٧ هـ/ ١٩٨٦م)، طبعة دار الفيحاء – عمان .

(٣)-«**سنن الترمذي**» لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك الترمذي « ت: ٢٧٩هـ »، تحقيق : بشار عواد معروف ، الطبعة الأولى:(١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م)، طبعة دار الغرب الإسلامي، بيروت ، لبنان .

(٤)-«**سنن ابن ماجه** » لأبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني ، المعروف: بابن ماجة« ت: ٢٧٣هـ »، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، طبعة دار إحياء الكتب العربية، القاهرة – مصر.

(٥)- « **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله** ﷺ **وسننه وأيامه** » لأبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري « ت: ٢٥٦هـ »،تحقيق: محمد زهير بن ناصر ، الطبعة الأولى : (١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م)، طبعة دار طوق النجاة، بيروت – لبنان .

(٦)- « **المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله** ﷺ » لمسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري « ت: ٢٦١هـ »،تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، طبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان .

(٧)-« **التاريخ الكبير**» لأبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري « ت: ٢٥٦هـ »،تحقيق: هاشم الندوي وآخرون ، طبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الدكن – الهند .

(٨)- « **المدخل إلى علم السنن** » لأبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي « ت: ٤٥٨هـ »، تحقيق : محمد عوامة ، الطبعة الأولى: (١٤٣٧هـ/ ٢٠١٧م)، طبعة دار اليسر للنشر والتوزيع، القاهرة- مصر.

(٩)-«**تفسير السلمي المسمى : حقائق التفسير**»،لأبي عبد الرحمن محمد بن الحسين بن موسى الأزدي السلمي (ت: ٤١٢هـ)، تحقيق: سيد عمران، الطبعة الأولى: (١٤٢١هـ - ٢٠٠١م)، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان .

(١٠)-«معالم التنزيل في تفسير القرآن»، لمحيي السنة ، الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (ت : ٥١٠هـ)، تحقيق : عبد الرزاق المهدي، الطبعة الأولى: (١٤٢٠ هـ / ٢٠٠٠م)، طبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان .

(١١)-«**مسند البزار** »لأبي بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله العتكي، المعروف : بالبزار «ت: ٢٩٢هـ»، تحقيق:محفوظ الرحمن زين الله، «حقق الأجزاء من ١ إلى ٩»،وعادل سعد «حقق الأجزاء من ١٠ إلى ١٧»، وصبري عبد الخالق «حقق الجزء ١٨»، الطبعة: الأولى، (بدأت ١٩٨٨م، وانتهت ٢٠٠٩م)، طبعة مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة – السعودية.

(١٢)- « **دلائل النبوة** » لأبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي « ت: ٤٥٨هـ »، تحقيق : عبد المعطي قلعجي ، الطبعة الأولى : (١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م) ، طبعة دار الريان للتراث، القاهرة – مصر .

(١٣)- « **صحيح ابن حبان** » لأبي حاتم محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَدَ التميمي « ت: ٣٥٤هـ »، تحقيق : شعيب الأرنؤوط ، الطبعة الثانية : (١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م)، طبعة مؤسسة الرسالة ، بيروت – لبنان .

(١٤)-«**مسند أبي يعلى**»، لأحمد بن علي بن المثنى أبو يعلى الموصلي (ت: ٣٠٧هـ)، تحقيق: إرشاد الحق الأثري، الطبعة الأولى: (١٤٠٨هـ / ١٩٨٨ م)، طبعة : دار القبلة – جدة .

(١٥)- « **المسند** » لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل «ت: ٢٤١هـ»، تحقيق : شعيب الأرنؤوط، وآخرون ، الطبعة الأولى : (١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م) ، طبعة مؤسسة الرسالة ، بيروت – لبنان .

(١٦)-« **الفردوس بمأثور الخطاب** » لأبي منصور بن الحافظ المؤرخ أبي شجاع الديلمي الهمذاني«ت: ٥٠٩ هـ»، تحقيق : السعيد بسيوني زغلول ، الطبعة الأولى: (١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م)، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

(١٧)-«**المعجم الكبير** »، لأبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي الطبراني «ت:٣٦٠ هـ»، تحقيق : حمدي عبد المجيد ، الطبعة الثانية: (١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م)، طبعة مكتبة ابن تيمية، القاهرة – مصر .

(١٨)-«**كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال**»، لعلاء الدين علي بن حسام الدين ابن قاضي خان القادري الشاذلي الهندي البرهانفوري ثم المدني فالمكي الشهير بالمتقي الهندي (ت: ٩٧٥هـ)،تحقيق: بكري حياني – صفوة السقا،الطبعة الخامسة: (١٤٠١هـ/ ١٩٨١م)، مؤسسة الرسالة .

(١٩)-«**دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني**»، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (ت: ٤٣٠هـ)، تحقيق: الدكتور محمد رواس قلعه جي، عبد البر عباس، الطبعة الثانية: (١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦ م)، طبعة: دار النفائس، بيروت .

(٢٠)- « **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء** » لأبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني «ت: ٤٣٠هـ» ، الطبعة الأولى : (١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م) ، طبعة مكتبة السعادة – مصر.

(٢١)-«**الطبقات الكبرى**»، لأبي عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي البغدادي المعروف: بابن سعد «ت:٢٣٠ هـ»، تحقيق : إحسان عباس ، الطبعة الأولى: (١٣٨٧هـ/ ١٩٦٨م)، طبعة دار صادر ، بيروت– لبنان.

(٢٢)- « **الجامع لشعب الإيمان** » للإمام أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي « ت: ٤٥٨هـ »، تحقيق : مختار أحمد الندوي – عبد العلي عبد الحميد حامد ، الطبعة الأولى : (١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م)، طبعة مكتبة الرشد، الرياض– السعودية .

(٢٣)- « **المستدرك على الصحيحين** » لأبي عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري « ت: ٤٠٥هـ »،تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا ، الطبعة الأولى : (١٤١١هـ/ ١٩٩٠م)، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت -لبنان.

(٣٤)-«**الشمائل المحمدية والخصائل المصطفوية**»، لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك الترمذي (المتوفى: ٢٧٩هـ)، تحقيق: سيد بن عباس الجليمي، الطبعة الأولى: (١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م)، طبعة المكتبة التجارية، مصطفى أحمد الباز- مكة المكرمة.

(٣٥)-«**المصنف**» لأبي بكر عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان العبسي، المعروف: بابن أبي شيبة «ت: ٢٣٥هـ»، تحقيق : محمد عوامة ، الطبعة الأولى: (١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م)، طبعة دار القبلة، جدة – السعودية .

(٣٦)- « **المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية**» لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني « ت: ٨٥٢هـ »، تحقيق :. محمد حسن محمد ، الطبعة الأولى: (١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م)، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت -لبنان .

(٣٧) « **الشريعة** » لأبي بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجُرِّيُّ البغدادي «ت: ٣٦٠هـ»، تحقيق : عبد الله بن عمر بن سليمان ، الطبعة الثانية: (١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م)، طبعة دار الوطن ،الرياض - السعودية .

(٣٨)-«**المعجم الأوسط** » لأبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي الطبراني «ت:٣٦٠ هـ»، تحقيق : طارق عوض –محسن الحسيني ، الطبعة الأولى: (١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م)، طبعة الحرمين، القاهرة - مصر .

(٣٩)- « **سنن النسائي الكبرى** » لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني النسائي « ت: ٣٠٣هـ »، تحقيق : حسن عبد المنعم شلبي ، الطبعة الأولى : (١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م) ، طبعة مؤسسة الرسالة ، بيروت – لبنان .

(٤٠)-«**مكارم الأخلاق**»، لأبي بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف: بابن أبي الدنيا (ت: ٢٨١هـ)، تحقيق: مجدي السيد إبراهيم، طبعة مكتبة القرآن – القاهرة .

(٤١)-«**الزهد**»، لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت : ٢٤هـ)، وضع حواشيه: محمد عبد السلام شاهين، الطبعة الأولى: (١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م)، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان .

(٤٢)-«**أخلاق النبي وآدابه**»، لأبي محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأنصاري المعروف بأبِي الشيخ الأصبهاني : (المتوفى: ٣٦٩هـ)، تحقيق: صالح بن محمد الونيان، الطبعة الأولى : (١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م) طبعة دار المسلم للنشر والتوزيع .

(٤٣)-«**المراسيل**»، لأبي داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (ت: ٢٧٥هـ)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، الطبعة الأولى: (١٤٠٨هـ / ١٩٩٠م)، طبعة مؤسسة الرسالة - بيروت.

(٤٤)-«**المسند**»،لأبي داود سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي البصرى « ت: ٢٠٤هـ »، تحقيق : محمد بن عبد المحسن التركي ، الطبعة الأولى:(١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م)، طبعة دار هجر، القاهرة – مصر.

(٤٥)-«**جامع الآثار في السير ومولد المختار**»، لشمس الدين محمد بن عبد الله بن مجاهد القيسي الدمشقي الشافعي الشهير: بابن ناصر الدين (ت: ٨٤٢هـ)، تحقيق: أبو يعقوب نشأت كمال، الطبعة الأولى : (١٤٣١ هـ/ ٢٠١٠ م)، طبعة دار الفلاح .

(٤٦)- « **سنن الدارمي** »،لأبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بَهرام بن عبد الصمد الدارمي، التميمي السمرقندي «ت: ٢٥٥هـ»، تحقيق : حسين سليم أسد ، الطبعة الأولى : (١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م) ، طبعة دار المغني، الرياض – السعودية.

(٤٧)-«صفة الجنة وما أعد الله لأهلها من النعيم»، لأبي بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف :بابن أبي الدنيا (ت : ٢٨١هـ)، تحقيق: عبد الرحيم أحمد عبد الرحيم العساسلة، الطبعة الأولى : (١٤١٧ هـ/ ١٩٩٧م)، طبعة دار البشير - مؤسسة الرسالة .

(٤٨)- «الخصائص الكبرى»، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، طبعة : دار الكتب العلمية – بيروت .

(٤٩)-«الاعتقاد»،لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (ت : ٤٥٨هـ)، تحقيق: أحمد عصام الكاتب، الطبعة الأولى: (١٤٠١هـ/ ١٩٨٠م) مكتبة دار الآفاق الجديدة – بيروت .

(٥٠)- «مناهل الصفا في تخريج أحاديث الشفا»، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، تحقيق: الشيخ سمير القاضي، الطبعة الأولى: (١٤٠٨ هـ/ ١٩٨٨ م)، طبعة دار الجنان للنشر والتوزيع .